

مبارك وساط



# أخف الأجراس في الأعشاش

(مئة من قصائدي)

منشورات جبر

شعر

أ  
ن  
ط  
و  
ل  
و  
ج  
ي  
ا

مبارك وساط

# أخف الأجراس في الأعشاش

(100 قصيدة مختارة من شعر م. وساط)

2021

منشورات جبر

# أخف الأجراس في الأعشاش

مئة قصيدة مختارة      مبارك وساط

- طبعة رقمية -

﴿جميع الحقوق محفوظة﴾

منشورات جبر

2021

## هذا الكتاب:

عبارة عن أنطولوجيا شخصية للشاعر المغربي مبارك وساط. فهو يتضمّن مختارات شعرية وافية من المجموعات التي صدرت له حتى الآن، مضافةً إليها قصائد من بين تلك التي لم ينشرها بعدُ في مجموعة (ما مجموعه مئة قصيدة).

-----

مجموعات مبارك وساط الشعرية، حتى يومنا هذا (31 غشت 2021)، هي التالية:

- على دُرَج المياه العميقة (طبعة أولى، دار توبقال، الدّار البيضاء، 1990 - طبعة ثانية: منشورات عكاظ، الرباط، 2001 - طبعة ثالثة، رقمية: منشورات جبر، 2020).
- محفوظاً بأرخبيلات... (طبعة أولى: منشورات عكاظ، الرباط، 2001 - طبعة ثانية، رقمية: منشورات جبر، 2020).
- راية الهواء (طبعة أولى: منشورات عكاظ، الرباط، 2001 - طبعة ثانية، رقمية: منشورات جبر، 2020).
- فراشة من هيدروجين (طبعة أولى: دار النهضة العربية-بيروت، 2008 - طبعة ثانية، رقمية: منشورات جبر، 2020).
- رَجُل يبتسم للعصافير (طبعة أولى: منشورات الجمل، 2011 - طبعة ثانية، رقمية: منشورات جبر، 2020).

- عُيُونُ طالما سافرتُ (طبعة أولى: منشورات بيت الشعر بالمغرب، 2017 - طبعة ثانية، رقميّة: منشورات حبر، 2020).

وقد صدرت لعبارك وساط مجموعة شعرية بالفرنسية والعربية، تحت عنوان: Un éclair dans une forêt (برق في غابة)، 2010، منشورات المنار، باريس).

---

كما أنّ مبارك وساط مترجم. ومن ترجماته: **شذرات من سفر تكوين منسيّ**، لعبد اللطيف اللعبيّ (منشورات الموجة، 2004)، **نادجا**، لأندري بريتون (منشورات الجمل، 2012)، **التحوّل**، لفرانتس كافكا (منشورات الجمل، 2014)، **الأبدية تبحث عن ساعة يد**، قصائد مختارة لأندري بريتون (منشورات الجمل، 2014)، **دمي الذي يرشو اليأس**، مختارات من شعر محمد خير الدين ونثره (منشورات حبر، طبعة رقميّة، 2020)، **سؤاؤد شمس ون أهدابك**، مختارات من شعر جمال الدين بن شيخ (منشورات حبر، طبعة رقميّة، 2020)...

---

## المختارات:

-1-

قصاد من مجموعة:

على درج المياه العميقة

## خلف نافذتي...

خلف نافذتي المرصعة بالبروق

تقصف أجنحة الفجر

نُجيماتٍ وليدة

في الحقول المنهكة

حيثُ تتناجي بُقَعُ دَمٍ وأزهار

يرسم بَحَّارٌ مسلوخ

أشركةً ومجاذيفَ

على صفحة جلده المتهدل

ويُحدِّقُ عرَّاف بعينه الزَّجا جيتين

في غُضونٍ إليه مُحَنِّط

بينما يتدلَّى جنديٌّ باسمًا

من المشنقة

أولئك أسلافي



وما عادوا يتعرّفون عليّ  
لقد قصرت قامتي حقاً  
بسبب الصّباحات الشّاحبة  
التي تضغط على كاهلي  
عند اليقظة

لست متوجّساً من هذا  
فما دام قلبُ المرأة ينبض  
ثمّة أملٌ كبير  
في انبعاث الشّفاة من رمادها

إدّاك ستينع القبل  
وتستمع عظام الموتى  
بغناء النمل...

أتنصت لأشجان موجة يتيمة  
بعد قليل أخرج للتّجوال  
سيكون لركبتي شكلٌ شعلة

أنا لا يُرعبني لعابُ الفوانيس

ولا سُعال الدُّئاب

خلف الواجِهاَت الأنيقة

لكنْ أَخْبِرُونِي

لماذا يتدَثَّر المرَضَى بمَعزُوفَةِ الرِّيحِ

وأين هي سُرَّة الصَّحراءِ

الحِجْرَة تَنْتَظِر لحظة نُضُوج الصَّرخة

الجِراة تَنْأَوُه على قِمَّة المدخنة

هناك مفاجآت كثيرة في جنبات المدينة:

لقد سُرع في صلب النَّادل أمام المقهى

لقد تساقط ريشُ سنونو

على كَتفَيِّ الحالمِتين

أنا رأيت ممرِّضين عُراة

يُجلَدون داخل كهف

ومساءً يُوضَع في تابوتٍ من غبار

وزوجين سعيدين حقاً  
لهما ذرية من فلين

وها أنت يا ذكرياتي  
تنزحلقين

على ثلوج من حرير

## رَفِيفُ أَجْنَحَةٍ يُضْرَمُ حَقُولاً

حين تندلجُ حُمَى الأَخِيلَةِ في نُقُوبِ اللَّيْلِ، أَنْصِتْ لِلْمَهِيسِ الْمُنْبَعِثِ مِنْ أَعْشَابِ عَقْلِكَ  
الَّذِي يَنْتَظِرُ إِشَارَةَ الْمُرُورِ إِلَى ضَفَّةِ مَأْهُولَةٍ بِالْدُّوَارِ. تَسْمَعُ هَيْنِمَةً فِي مِرَاةٍ تَعْكَسُ  
ظِلَالاً؟ إِنَّهُ الْمَجْنُونُ يُقَدِّدُ عِظَاءَ رُوحِهِ. لِسَانُهُ فَلَائَةٌ يَرْقُصُ فِيهَا الْحَجَرُ. شَرَايِينُهُ  
تَجَارُ بِالشَّتَائِمِ وَالْهَدِيلِ. يُفَكِّرُ أَنَّهُ نَبْتَةٌ قُرَّاصٍ، أَنَّهُ غَيْمَةٌ...

حين تَعْبُرُ فِرَاشَاتِ السَّهْرِ أَمَامَ عَيْنَيْكَ اللَّتَيْنِ تَتَجَاذِبَانِ لُغْزاً قَادِماً مِنْ جُزُرِ  
أَحْلَامِكَ، تَحَسُّسُ صَدْرِكَ الَّذِي تَرْتَعُ فِيهِ قُلُوبُ الْكَلِمَاتِ. رَفِيفُ أَجْنَحَةٍ يُضْرَمُ حَقُولاً،  
فِي مَكَانٍ مَا مِنْ هَذِهِ الْمَتَاهَةِ، وَالْمَجْنُونُ يَتَمَدَّدُ تَحْتَ شَمْسٍ مِنْ صُنْعِ أَسْلَافِهِ...  
حين تُومِضُ فِي قَلْبِكَ مَوْسِيقَى الْبِرَارِيِّ الْمَوْجِشَةِ، سَتَقَطُّ فَاكْهَةً نَوْمِهِ مِنْ جَنَائِنِ  
مُضَاءَةٍ بِالْهَدْيَانِ.

## عصافيرُ سكرى

ثمّة حانةٌ أُنادم فيها أشكالاً هُلاميّة، ترقبنا عيونٌ لموتى، وهي لا تزال تنبض،  
منسيّةً في الكؤوس وعلى المناضد. زفيرُ السّاعات ينكأ جراح حكايات غامضة،  
بينما تبحث قطرةُ خمرٍ وحيدة عن معنى للحياة داخل حنجرة سكرى. الجنود الذين  
حاربوا في السّراديب وعلى أرصفة المقاهي يُصوّبون بنادقهم إلى قلب تمثالٍ يترنّج  
مُعربداً. والطفلةُ التي تهجّع منذ لحظات، تحلم بعصافير سكرى تنقرُ لسانها الوردى.  
على عتبة الباب، يقف شحاذٌ باسماء، فيما تتسكّع روحه بين صناديق القمامة، بحثاً  
عن قنانٍ فارغة. "أنت شجرة مأفونة، أنت غيمةٌ مُخدّرة الحواس، ذرّة رمل تبكي في  
أعماق المحيط..."، يقول النّادل المقنّع للكهل الذي يعمل ساعي بريد بين النّجوم.  
لكنّ هذا الأخير كان يغطس عمودَه الفقريّ في دُورق من نبيذ بابل، ويُفكّر في عذاب  
البشرية الذي يتمرأى في شاشة صمته العنيد.

أعيدُ تكوين المشهد، فأرى وجهي مثقلاً بكلمات ذابلة. كلمات، أنفاسي ستسحبها  
خلفها إلى حيث ترتعش عظامُ البحر... لحظات وأمضي من شارعٍ إلى شارعٍ يُطارِد  
خيولاً غريبة، وهي تهرع نحو برارٍ مُدثّرة بِعَسق الكحول.

## مُرَاوِدَةٌ

افتحي فمك قليلاً

وَلتُوقِظْ أَنْفَاسِكِ عَيْنِي

من سُباتٍ أَمِنَحه لَطَائِر

ها أنذا أفتح ذراعِي الآن

لأَمْنَحِكِ نَبْضَ المَاءِ الحَيِّ

ظُلُوكِ يَجُوبُ ضِفافاً بَعِيدَةً

وظلي الذي يتبعه

سقط مُهشَّماً على إفريز الصَّبَاحِ

لكنَّ نيرانِي دائماً تدعوكِ

عليكِ بَتَلْمَسِ الجَمْرَةِ.

## على رصيف مقهى

لا أحد من بينهم كان في حاجة إلى الألم.  
أهازيج غامضة تتردد في حناياهم، فيما تهبُّ أنفاس متقطّعة من ناحية التلال.  
عصافير شاردة تسقط بين الفينة والأخرى في عبّ المرأة ذات الوجه المُطرَّر  
بالتقوب. والغيوم الوردية الثلاث، والتي هي قوارب مُترعة بُخاع الكواكب، يدفعها  
النسيم نحو شطآنِ أهلةٍ بالأجنّة. الجنديُّ الوافد عبر مفاوز موحشة، يُطارد في  
المرآة كلباً أجرب. أحدهم يحاول أن يقول شيئاً من دون أن يحرك شفّتيه. أحدهم  
يتحسّس عظماً تتفتّت في جيبه. صبيٌّ مجنّح يتوقّف قليلاً عند كلّ منضدة خلفها رجل  
جريح. ثم يُفرد أصابعه المخملية قبل أن يختفي في الضباب الكثيف. والأعمى،  
النائي عن الآخرين، يغوص في مياه وحشته، أهدابُه مسبلة على صرخات وبروق...  
لا أحد من بينهم كان في حاجة إلى الألم.

## تفاصيل الدهشة

الأنوارُ شاحبةٌ على سيقان الليلك  
الخطى مُحطّمةٌ على بلاط الشوارع  
الأمواج ساكنةٌ في جنبات الحدائق  
لا شيءٌ تغَيَّرَ

بعد أن هجرتِ هذه النَّافذة

حيثُ يضحكُ العصفور

هذه الغرفة حيثُ نظرتُك

ورنينُ أساورك

شالكِ، وآهاتك التي من بنفسج

ما تزالُ منثورةً على الشراشف

المكتظةً بأنفاسك

وفوق المنضدة المبقعة بالجبر

حيث يُقهقه بوقاحة

تمثال بوذا المترهل

للأسفِ لم أستطع أن أبدو يائساً

مثل نَشيدِ ناضبٍ مثل جدولِ هرم



لأنّ تفاصيل الدّهشة تمّت خارج حياتي

لأنّ أنفاسي تتلعثم في العراء

فيما الثلج يتساقط من سَقف الغرفة

ويلعب في حضني كطفل

لا شيء تغير

هيئمة الوزال تسري في المروج البعيدة

والسّماء تنثُّ رذاذ الهديان

وأنت تتخلّصين من دمك وتجريين

بين أشجار الصنوبر المريضة

وعلى الأرصفة التي تغصّ

بعذاب الموسيقى.

كان قوس قزح يتزحلق على كسح هضيم

والزّبْدُ يكرّر أحلام المحيط

كانت أحلامك تتبعك

وأنت تتلذّدين بالهمس وبالكلام

وفي منتصف العبارة تختفين

تاركةً طيفك في المرآة

تاركةً همومك الصّغيرة على عتبة الباب

وجَهَكَ في بدايات النَّهار  
وثوانيك الزَّرقاء  
في قلب السَّاعة الذهبي.  
لا شيء تغيَّر  
رعشتك تنسرب في خروم الدَّنتيلا  
خوفك ينسدل على جبيني  
وأنا أبتكرُ سيرةً لوردٍ عابر  
قبل أن أضعَ يديَّ على مفتاح العِلاقة  
ورأسي خارج رواقه البهجة  
قبل أن أغمسَ عينيَّ في لعابِ الوسادة  
المرصَّعة بنومك وعطرك  
وأنصتَ لطحالب المستنقعات  
وهي تنمو بين ضلوعي  
في هذه الغرفة الكئيبة كابتسامة القليل  
حيث الوقت دائماً  
منتصفُ الليل

## حرائق

كَمْ جَهَدْنَا لِنرسمَ البسماتِ على شفاهنا الكئيبية، وحاولنا أن نُنصتَ للضجة الخافتة في قعر الجرار، لأجنحةٍ تَتنفّضُ في كوابيسنا، وكثيراً ما جلسنا بين الخرائب، في الأماسي المنخورة بالحكايات الطائشة، عيوننا تترصدُ خطى الساعات، وفي أفواهنا تنمو أغصان الليل المتقيحة. كَمْ شُدْهنا ونحن نسمع المياه تُدمدم، ونرى أقماراً معتوهة تسقط في أحبولة الألم، والعانس التي تنسج الرّايات، والرّعاة إذ ينطفئون كشموعٍ في البرد. كم ذرّفنا من دموعنا الخضراء، ونحن نسمع تلك الظلّة المشنوقة بحبال الأفق تُكّرر كلّ ليلة: "جميل من النّجوم أن تكشف عن أسنانها الذهبية لعيون المسهّدين. جميلٌ من الثلوج أن تُقضي وقتها في أكفانِ صمتها. جميلٌ من الفلوات أن تُلقم أنداءها للمرضى اللامرئيين...."

أحياناً، ننسى كلّ هذا. نجلب الحشائش وننثرها على الأرائك. بإبر الضوء نخزّ جلد الغسق. نضع الكؤوس في الزوايا. نُعلّق الكراسي إلى السقف. نُوقّع خُطانا على شطحات نهرٍ مجنون. ثمّ نستكين، في انتظار الحرائق الموعودة عند الفجر.

## خيمة الغبار

من جديد، بدأت القوارب الكاسرة تخطيط بمسلاتها أفواه الأنهار، بينما الخريف ينسج علامات استفهام على وجوه العابرين! نبوءات وخيمة أستشفها في عيني يمامة تُحتضر، وأخبار غامضة تبثها إذاعة الزبد عن مصيري الأكثر غموضاً. أحياناً، أقيم مع سدنة العشب في ظل أساطير سامقة، بينما تتوغل أنفاسي في فجوة الجبل العميقة، أو أمضي إلى كهف بعيد، أرى فيه العلماء المُقنَّدين يَفكِّون الغازَ سير الحقول. كنتُ، أيضاً، أجالس صديقي الذي يشتغل بمنجم الدُموع السوداء، لنستغرب قليلاً من طفولة التيازك وبكاء الحجر اليتيم. لكنَّ القناصين الذَّهابة كمنوا له ذات مساءٍ في خيمة الغبار. ومُذاك، صرْتُ أتطلع إلى كلِّ هَيْكَلٍ عَظْمِي يُدندن في حانة، وكلِّ مَيِّتٍ يُحمم تحت نافذتي، إلى أن نسيْتُ ملامحه كَلِيَّةً. بقيتُ دمَاءُ السَّنَاجِبِ تزورني. وساعي بريد المَرارة، الذي كان يحمل لي رسائل على هيئة سلاسل، وبطاقات بريد تسعَلُ فيها الغربان... وطلع حرَّاثو الأمواج الخِصبة، من أكواعهم في عمق المحيط، ليقوموا بمسيرة احتجاج من ساحة الألم العظيم حتى مقرِّ إقامة العَظْمِ المتلألئ. جاء الرُّعاة العميان أيضاً. وحُروف الجرِّ المعذَّبة. جاء حرَّاس قوس قزح، وغلايين سُودَ كأنها من سُيوخ بني حام... ومضت الحشود على ضفَّة النَّارِ،

ضاربةً في أرض الوحشة الزرقاء... في ذلك الوقت، كانت الأزقة الخلفية تتلوى  
على أعناق الدئاب، والمطر، مُشعَّناً، يتقاذ على إيقاع قرع الطبول.

## أماكن

في شارع جانبي  
وجه أليف  
يتكاثر في انتظاري

في ضاحية قريبة  
قبيلة تُقيم طقوس ندمها

في ميدان المعركة  
سقط ضحايا كثيرون  
تحت حوافر الأصيل

في ذاكرتي  
مدنٌ تهمني عليها أمطار وأحزان

في غابة ما  
امرأة تقبل ذنباً كسيحاً

على رصيف مقهى

قمرٌ ينزف

في سُرَّة ميت

على عتبة غابة

هياكلٌ عظيمةٌ تضحك للنجوم

في كوخ مهجور

أنام متسئراً على صيحتي.

## شُرفة

رنينُ عضلات الليل المعدنيّة، ضجيجُ النَّهارات المُتقيّحة، رصاصاتُ الليل والنَّهار الطائشة، الرّماد: ذاك ما تعرفه أيضاً أفواهنا. من هذه النُّقطة انطلقت. وها هي تتدحرج الآن نحو النُّقطة المجاورة، حيث جلس رجل بهيئة شحاذ. أطلق وإبلاً من الشَّنائم، قاصداً لا أحد، ربّما. شرب نشيداً من الدُّموع في أقداح مكسورة. بكى تحت شُرفةٍ تأوي إليها امرأةٌ كانت حبيبتني. رَقص على الجمر، وعلى نغمات التّاي. وهي من شرفتها، ترعى قافلة التَّنهدات التي تُحجّ إلى مهبلها، وتمنحني عند اليقظة كأس نبيذ وعشب الأعماق... إنها تكرّر: "كثيبتُ جِراح تُدندن في ساحات قلبي"...

"على الشفاهِ أيضاً، تتفتّح وُرود الدّم في الفجر..."، تهذي جُمجمة في إحدى الحانات، فيما تُصدر المومياءُ أوامرَ للقناني الفارغة بالتسكُّع في المزابل. حتّى إشعار آخر، يبقى كلُّ شيء هادئاً.



## أَصْفِقُ نَوَافِذَ النَّوْمِ

حدثَ ذلكَ بِمَحْضِ الصُّدْفَةِ  
أمامَ الجُمجُمَةِ المرسومةِ على جِدِّ اللَّيْلِ الأبرصِ  
ينسجُ الموتُ في حدقتيها حبكتَه البارعةِ  
من أليافِ، من بقايا صباحاتِ ذاويةِ،  
أمامَ قطرةِ الخمرِ المتشبثةِ بحافةِ الكأسِ  
بيأسِ حيوانٍ فقد ذاكرتهِ في معركةِ غامضةِ  
بين الخُلمِ واليقظةِ،  
أمامَ عينيِّ اللتين نمتَ فيهما  
أعشابُ الكوارثِ الأليفةِ  
وأجنحةُ سوداءِ  
ترفُّ كلما بدأتِ المصابيحُ في الهديلِ  
باسمي حينَ أصْفِقُ نَوَافِذَ النَّوْمِ  
وأمشي على شفرةِ الواقعِ نحو اللهبِ  
كانتِ الأقمارُ الواجفةِ  
تتسلَّلُ من فتوقِ الأساطيرِ

ودمُ الأشجار يُدثرُ ظلَّالَ المهاجرين

كانت الثلوج، في رتتي، سادراً

في أنينها

تُفتتُها أحزانها

كالعادة التي أسدلت الستائر

على مشهدٍ أبدو فيه بمحض الصدفة

مُغرقاً ضجري في جدول شتائم

أحفظها منذ الولادة

تميمةً أعلقتها على صدر يمامة

أو امرأةٍ في آخر الليل.

حدث هذا بمحضر امرأة آخر الليل

التي تركت شيئاً من روحها

في فمي المُثقل بصرخة

تنطلق دائماً في اللحظة المناسبة

لِتحطُّم الجدار الذي تحتمي خلفه

الرَّايات من الصِّفعات

والرُّضع من نُباح الساعات المريضة:

بمحض الصدفة سقطت دموع الغراب

سقطت الأغصان الحمقاء في شَرَك الريح  
ارتجفتُ قامة الفجر من شدَّة الخوف  
لم يعد بابُ الغرفة يؤدِّي إلى الخارج  
صار لا يفتح إلا على النَّعيب  
سقطت طيورٌ نادرة في عباءة البحر  
سقطتُ خطاي تحت وطأة الموسيقى  
سقطت عيناى في شحوب  
الياسمين...

« كان متأججاً، ذلك الهيكل العظمي »،

قالت النسور

ومن جراحي تطايرت

فراشات زرقاء...

إذَّكَ بدأ جنودٌ من زبد

يُطلقون النَّار

على قوافل الأيام.

## بدأت هذه الثلوج تصدأ...

أقف تحت نافذةٍ تتردّد خلفها شكاوى عجزة ومتسوّلين يتقاسمون خبز الملاحم القديمة. أقف تحت مطرٍ يقضم نهد عذراء تركض في مفازة العذاب، خلال هذا المساء الذي يزفل في فساتين من عوسج. طواحيته تُفتت عظام الملائكة. وأنا الذي استهلكت هذا الإعصار الجميل، لا أرى على شاشته إلا أقدام الموتى، مغروسة في صناديق القمامة، تتشممها الذئاب... بدأت هذه الثلوج أيضاً تصدأ أمام عيني اللتين كانتا يمامتين سجينتين، وجلدهما أقزام كانوا لا يغادرون بطون أمهاتهم إلا خلال أعياد المجوس. نيرانهم تتشاءب على وسادتي كل صباح. دموعهم تصهل في محجري، فيما أصنع حماقات مشعة من رماد الأيام، وأترصد أبواباً تُهرول بأقدام آدمية، منها سأدلف إلى مدن الماضي، مُنقسماً في جسوم كثيرة. قد يكون أحدها هذا الشحاذ الذي يغفو في محارة بحجم خرائب عمره الطويل. ومثلما يندلع شبق النار في قش صيف جميل، سيأخذني الحنين إلى ساحات مكتظة بالمهاالك، حيث عُمان يسحلون وجوههم المنطقنة، إلى مرافئ ترسو فيها سفن مَحْمَلة بقلوب الأرامل، إلى سريري الذي أمضي إليه عبر جسور سبعة، تتمدد على كل منها امرأة تفتح لي ذراعين من غبار... وحين أصل إلى نقطة انطلاقي، أضيغ، نشيداً في فم العاصفة.

- 2 -

قصائد من مجموعة:

محفوظاً بأرخبيلات...

## رَحِيل

حِينَ سَأَلْتُ عَلَى جَبِينِي

دَمَاءَ الْغَسَقِ

اعْتَرَتْني رَعِشَةُ اللَّحْظَةِ الْعَمِيَاءِ

انْسَحَبَتْ يَدَايِ

مِنْ طُفُولَةِ الذَّهَبِ

وَبَدَأَ وَجْهِي يُسَافِرُ بِلَا كَلَلٍ

نَحْوَ مَهَابِّ الْأَلَمِ.

## مُهَمَّة

إنتخبتي الليالي

لأشترَ عسل الكواكب

المتدلّية

فوق رؤوس

الغواني

لهذا "لا أذوق النوم إلا غرارا".

## أَبَدِيَّة

وكأنَّها الأبديةُ  
محمولةٌ بين مخالف نسر:  
كلُّ هذا البياض  
المُدْمَى

وكأنِّي الامتدادُ الحيّ  
لزوجةٍ  
غامضةِ النَّوايا

أَتَلَفَعُ بِحَرِيرِ الشَّمْسِ  
وَأُصِيخُ السَّمْعُ لِهَذَا النَّدى الذي يَمُوءُ  
في أحداق  
الخُزَامِي

أَأْخُذُو النِّسِيمِ  
إلى مسقط رأسه  
خلال هذا النَّهار الأكثر خضرةً



من كارثة

أم أبقى في هذه الغرفة التّظيفة  
إلا من دماء الأحد؟

## مَسْرَّة

جاءها مخموراً  
ليَسرد على عينيها  
نُعاس اليمامة التي تحيا  
في صندوق من طلّ  
جاءها ولم يصدّق  
أنّه أفلت من أشراك الرّمل  
وكمائِن المصادفات  
وأنّ خيول الشّوق المُجنّحة  
التي حملت على صهواتها قرىّ عديدة  
إلى مجرّات بعيدة  
هي التي أنقذته  
من فحيح المسافات  
جاءها مخموراً  
في عينيهِ  
هلوسات السّهر والترحال...  
ومعها أقام تحت مظلة الهديل

محفوظاً بأرخبيلات  
ولم يحزنُ أبداً  
لدى سماعه الأغصانَ الجريحة  
تلتفُّ على قلبه العاشقُ  
هو الذي جاءها  
مخموراً

## براءة

الرَّجُلَ الَّذِي قَضَى لِيَالِي طَوِيلَةَ  
مُوْغِلًا فِي شُحُوبِ الْحَدِيقَةِ  
لَمْ يَسْرِقْ نِيَّاشِينَ الْخُرَامِي  
وَلَيْسَ مِنْ جَدَّعِ أَنْفِ الْهَوَاءِ

لَمْ طَارِدُوهُ إِذْنَ؟

إِنَّهُ يَتَخَفَى الْآنَ فِي مَغَارَةٍ  
يَحْرَسُهَا هَتَافِ النَّمْلِ  
لَا يَغَادِرُهَا إِلَّا مُكْرَهًا  
إِلَى مَفَاوِزِ  
يُسَدُّلُ عَلَيْهَا الْأَمْوَاتِ  
أَكْفَانًا رَاعِشَةً

لَكِنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِ  
حِينَ يَجُوعُ  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يَجْلِسَ

إلى خِوانِ النسيم  
وإذا تعقَّبته العقبان  
يُمكنه أن يمتزج بالزَّبَد

لا خوف عليه  
لَهُ خيمة  
يستريح فيها حوارِيُّو الرِّيح  
حين يتعبون

## حاشية

أنفاس الصَّيف تتمترس خلف ضحكة الجبل  
زَغَبُ الضَّوءِ يتناثر، حُمَّى من الألق  
قريباً من الهاوية الزرقاء  
ثمَّة بحرٌ في سَمْتِ مَلِك  
حوله حاشيةٌ من الغرقى  
وجنودٌ يخبُّون على التُّلُوجِ  
يُخوضون حرباً صغيرة  
ضدَّ فيلقٍ من النَّوايا:

بلا مبالاة، تعبر الريح فوق المشهد.

## للشّناء أسماؤه...

للشّناء أسماؤه السّريّة

في ردني معطفه

تتخفّى العنادل

الهاربة من دموع العدالة

وله أيضاً بيارقه المرصعة

بهينمات قوس قزح يتيم

حين تُطلُّ شمسها العابثة

وسَطَ سماءٍ

تُقامر مع أسلافنا

بعظام النّوارس وفضّة الغيوم

ويُلقي ضوءها خطبته التي

يسيل منها عرقُ الأبالسة

على آذان

نهرٍ لنا

ننفضُ عنها نّقع الكآبة

نتناسي الصّباحات السّجينة

في قناني المروج

وتنتظر...

تنتظر أن تعودني إلى غرفنا

أنتِ يا ملائكةً

من مياه.



## ذِكْرُ مَا جَرَى

كَانَتْ مَنَاقِيْرُ الدَّقَائِقِ  
تَنْقُرُ رِدْفَ امْرَأَةٍ بِدِينَةٍ  
كَلَّبَهَا الصَّغِيرُ التَّفْتِ  
وَأَثْنَى عَلَى الْهَوَاءِ الطَّلُقِ:

عَيْنُ النَّهَارِ كَسَّرَتْ!

## هامش لصهيل فنار

هنا، تحت أهدابك أيتها الريح، وأنت تُفكِّكين دواليب الظهيرة، وتنثرين المفاتيح على صدر الميِّت، حيث ينضج الصمت، ثم ينسلُّ تخيناً إلى خياشيمنا،  
تحت أهدابك، تخلصنا من خطانا الفائضة عما تُحبِّذه الطُّرقات، ومن الصِّدأ العالق بسجّلات أنفاسنا. وأذنا النغمات التي استخرجنا من عويل العربات، وتشمّلنا بنجيع الوقت. وإن لم نحضّر دفن آخر نهار قتيل، فإن أفواهنا تركت هامشاً لصهيل فنارٍ يُضيء طريق المراثي. لم نكن قط أدعياء إزاء مشاعر العنكبوت. نحصد سأم القمح، وبكوابيس الينبوع نغتسل. وليس بيننا من أوقع الضغينة في قلب الصبيحة التي مزقت نسيج شهادتنا، نحن المُقلِّعين عن معاقرة وسواس الخيول! وإذا السَّناك تجتتُّ صغير الحقائق. واللقاق تقضم لحم الدقائق. وأهدابنا تقذف شرار اللباب. يا ما صادقنا السُّهول المتأنقة. يا ما تأوّد قدّ الغواية في أروقتنا، بين مرايانا وخطايانا. وحتى حين بدأت فراشات نزقة تُربّي في آذاننا عواصف وليدة، نحن لم نياس. نرى إلى أرضنا الحيزبون، المُعلّقة من شعر عانتها بأسلاك لا مرئية. نتعلم منها الصبر!

## رقصة

أَعَدَّتْني هذه الورقة بِحَمَّاهَا  
لا سبيلَ إلى الشِّفاءِ  
من طقس هذه الأَسنانِ  
أَعَزَلُ أنا  
حين مرَّ شهاب بنافذتي  
لم يترك لي غير فُتاتٍ من نصائحه  
ولامةٍ كانت لأسلافه  
سأتردِّع بها ضدَّ كِماةِ الشتاءِ  
وأُوغِلُ في العزفِ  
على كمنجاتِ  
الغواية...  
لكنَّ ما الَّذي سأفعله الآن  
وقد بدأ هيكلي العظميَّ  
يرقص بجانبني  
على إيقاع القُشعريرة؟

## أمسية

طُول الوقت كان الموسيقي  
يعزف بحركاتٍ تُشبه  
تمارينَ المطر  
والبهلوانُ يترنَّحُ في الأعلى...  
لم يكن أحدٌ ليرفع عقيرته  
لم تكن كفُّ لتوقظَ الأشجار  
المُسرَّنة في المرايا  
على جُثتنا الطَّافية فوق لعبها  
تناثرتْ بدافع الشَّفقة  
وُرود الشَّفق  
وبدا الحُضور سَاهمين  
فهم، لا شك، يُفكِّرون  
في عذاب المذبذبات، التي،  
بعناية، تحرسهم...  
أنا، أيضا، فاجأني  
لحظة شحوبِ الباب

كلُّ تلك الطيور التي  
بدأت تهزج  
في مُنعرجات مصائرنا!

## كفي لا ننسى

يُحَدِّثُ

إِذَا ابْتَعَدَ الْأَعْمَى

مَخْفُوراً بِهَيْسِ الظَّلَامِ

أَنْ تَنْبُثُ مِنْ بُوْبُويِهِ

عَصَافِيرُ

بَرَّاقَةٌ

وَأَحْيَاناً

إِذْ تَنْفُتِحُ عَيُونَ الظَّلِّ

تَتَقَمَّصُ أَزْهَارَ

شَفَاةَ

الغَوَانِي

وَمَرَّةً

رَأَيْنَا عَرَافِينَ

يَسْمُلُونَ عَيُونَ النَّهَارِ

وَبِغَامِضِ التَّعْزِيمِ

يَصْنَعُونَ مِنَ الرَّمَادِ  
ظُلَاماً

وَمَرَّةً

فَكَّرْنَا

فِي الْمَصِيرِ الْأَسْوَدِ

لِلطَّحَالِبِ الْحَمَقَاءِ

فَنَمَا قَلِقٌ كَثِيفٌ

بِأَذْقَانِ أَقْرَامٍ

يَسْتَعْبِدُونَ الْمَسْتَنْقَعَاتِ

وَأَجْرَاسِ أُرُوْحِنَا

لَكِنْ

يَتَوَجَّبُ نَقْشُ هَذَا

عَلَى أَمَاقِ قَوْسِ قَرْحٍ

كِي لَا نَنْسِي

أَنَّهُ يَحْدُثُ

إِذَا ابْتَعَدَ الْأَعْمَى...

## كان صباح...

كان صباحٌ يَجوبُ الشوارع  
مُتملياً غُرْفاً تَرَقصُ في الضباب  
وكنْتُ هائماً أيضاً على  
هَمِّمةِ الحصى

حوالي نيازكٍ فقدتُ رُشدها  
إثرَ صدمةٍ ما والعُشبُ الميِّتُ  
يُوجِّهُ سأمه عالياً إلى فمي  
والحكايةُ التي تَدبُّ على جبيني  
لم تكنْ لترتاح في ظلِّ  
رياحٍ هبَّت لتخلعَ  
عن الأشجار شفاهاها  
وكان الصُّباحُ الصَّغيرُ يمشي  
رازحاً تحت صراخ  
أسنانه وأنا جنبه  
أتنصت للموسيقى الغريبة  
التي تتولَّد  
من قَلقِ العابرين



## طويلاً عِشْتُ كَمَا

طويلاً عِشْتُ كَمَا  
لَوْ كُنْتُ نَهراً لَا يَكْفُ عَنْ  
الهدير  
نَهراً لَا يُبَالِي  
إِنْ عَاشَ أَوْ انْتَحَرَ  
كُنْتُ أَقْرَعُ أَجْرَاسِ الْفَوْضَى  
فِي الطَّرِيقَاتِ  
وَأَجْلِسُ إِلَى مَوَائِدِ الدَّوَارِ  
فِي مَقَاهِ  
تَوَمُّهَا الْبُرُوقُ...  
ثُمَّ وَجَدْتُنِي، ذَاتَ فَجْرِ  
جَاءَ مُبْرِقَشاً بِأَنِينِهِ  
أَزْعَى سِرْبِ كَوَابِيْسٍ وَرَسَاءِ  
فِي سُهوبِ الشُّهَادِ  
وَكُنْتُ مِنْ بَيْنِ الْفَرَسَانِ

الذين نادموا ظلّالهم  
على قليلٍ من الوسواس...  
أمس مساءً  
كانت سحب مُشاكسة  
تكسو رأسي  
بِسُعال الأبالسة  
وبعد أن تسلّتُ خلسةً  
من بين أسنان الطّقس  
مضيّتُ لِأُتبه  
في الأزقة الخلفيّة  
للحياة

## أقبل الفجر

أخيراً،

أقبل الفجرُ جريحاً، وقد حرَّزَ أجنحته من أصفاد الخرافة. وقتها سالَ الفرحُ قانياً  
من أنوفنا التي ما عادت تتعرَّفُ علينا.  
لسنا وحدنا الحيارى!

## شكوى

هذه السماء ملثثة  
إنها ما تنفك تُلوك  
ثمار كآبتها  
قاذفةً بالنوى  
التي هي جماجمنا المعدنيّة  
في بحيرات الندم.

## أَلَق

الطفلة الغريبة التي كانت تحكي لنا

عن رفقتها لقمر وديح ألثغ

والتي مضت البارحة لتنام جنب المدفأة

قائلة إنَّ عناكبَ مدرّبة

تنسج من نخاع الزّمن

خُمرا لإناث الزواحف

ما زالت بعدُ لم تستيقظ...

ذلك أنها ليست في مكانها

فهي تتمدّد على شاطئ بعيد...

نمضي إليه لنرى:

ثمّة قواربٍ مُحمّلةً بأمواج حوامل

والطّبيب المسؤول عن صحّة الزبد

ما إن رأنا

حتّى سارع إلى التّخفي

تحت كثافة ظلّه...

وهي، هنالك، مشدودةُ الأصابع

على ورود الغيب النّديّة

والسنةُ الموت تلَعقُ أجفانها...

ما يلتمعُ على جسدها

ليس بزقاً في جداد

إنَّها الدُّموعُ السوداءُ ليريحُ

تأكلُ الطَّيرُ

من رأسِها...

## مَـصِـر

تلك العذراء البهيّة  
وَدُمُوعُهَا من حليب  
كفّأها مفتوحتان  
لِضْحِكِ الأعشاب  
وفي كلّ صباح تلتقطُ مِرْقَ الأحلام  
المتساقطة من أجفان الكواكب  
وَتُخْفِيهَا في عيوننا  
كلّ مساء تكدّ، ونحن لا نزعجها  
إنّنا تضرُّ أكاليلَ غاز  
للَّذين من بيننا، خلسةً،  
سيُصلّبون.

## بَدَأَ الْمَطْرُ يُفَاجِئُنِي

عَلَى مَحْفَةِ الْهَذْيَانِ

تَتَمَدَّدُ شَقِيْقَةُ الزَّبَدِ

مُدُّ صُعِقْتُ بِبُرُوقِ جَسَدِهَا

مُدُّ عَشِقْتُ حَدَائِقَهَا الْمَعْلَقَةَ

بِضْفَائِرِهَا

بَدَأَ الْمَطْرُ يُفَاجِئُنِي كَلَّمَا غَفَوْتُ

لِذَا فَأَحْلَامِي دَوْمًا

حَافِلَةً بِأَقْوَاسِ قُرْحٍ.



- 3 -

قصائد من مجموعة

رأية الهواء

## العين

الكأس المترعة بملح الليل

تجرّ عنها

أسرع قليلاً من الحمى

ثمّ عَيْنُكَ التي تذرو

باروداً كثيفاً

على ألوانٍ كانت لعيني

نمّة أقمار

في فضاء بيتنا

تنبض وتضخّ دمًا

في سرايين الهواء

- «إنهنّ كنّ قلوباً - تقولين -

أيامَ كانت سنا بل الحُبِّ

تُصيخُ لهذيان الشمس

وكانت تلك الشجرة الجميلة  
تطوف ببراري نومنا  
بحناً عن يمامة  
كانت قد تحوّلت فجأة  
إلى غمامة»

- «والآن،

إذ سنرحل، فلتعلمي  
أن عيون المَها  
هنّ اللّواتي سيُسعفننا  
على الجسر  
الجسر الذي سنعبّره  
أعلى قليلاً  
من الحمّى»

- «لا تنس

ما دُمننا سنرحل  
أن تأخذ السّكاكين الذهب

فثمة في طريقنا  
جبلٌ صامت  
يكنزُ أنفاسَ العاصير  
ويرمي المُدلجين العُزْل  
بأعين  
الجرائم»

- «أنظري  
إنها الببغاوات  
المُنْبجسة من خُطاك  
تُؤلف منظومةً من خرز  
عن صعوبات الكلام»

الرِّقْصُ أسهلُ حقاً  
لكنَّ قلبَ الموسيقى  
مُثقلٌ بِمِلحِ الليل

والعازف؟

جاء أطباءُ

مختصّون في العين

والكعب والحنجرة

قيّدوهُ شنقوهُ

بجبالٍ

صوتية

قدماه تتدليانِ تتدليانِ

تنقبضانِ تنبسطانِ

إنهما تُدوّزانانِ

أوتارَ

ريح

الصّبا!

## أمام باب الحُبِّ

أَرْضٌ وَهَاجَةٌ  
بِعَذَابَاتِ الْحَجَرِ، تَرْفُ عَلَيْهَا  
أَجْنَحَةٌ بِيضَاءُ  
خِلَالَ أَصَائِلِ بِيضَاءِ  
مِنْ هُنَاكَ جِئْتُ، وَلَمْ  
يَكُنْ فِي طَرِيقِي مِنْ مُفَاجَأَاتِ  
سِوَى أَنْ بَضِعَ شُجَيْرَاتِ  
كَانَتْ، أَحْيَانًا، مِنْ فَرْطِ الدَّهْشَةِ  
تَتَحَوَّلُ إِلَى كَمَنَجَاتِ  
بَيْنَمَا عَيْنُ الْحَلْزُونِ  
تَقْتَنَصُ بِبَرِيقِهَا  
أَلْوَانَ ثُمُورِ حَالِمَةٍ  
أَنْفَاسِي كَانَتْ تَتَغَلَّغِلُ  
فِي رَأْيِي مَسَاءٍ مُعْرَبِدِ  
وَفِي أَثْلَامِ أَرْضِ الْمَرَايَا  
مِنْ حَيْثُ جِئْتُ، مَخْفُورًا

بجوارح سبق أن سَفَّت  
من ظمي العدم...  
والآن، افتحي الباب  
قبل نضوب النَّشِيدِ  
المتصاعد من أهدابي  
افتحي بسرعة  
فَدَمُ اللَّيْلِ بدأ يتعفن  
والجوارح التي تُخْفِرني  
والتي هي رُوْحُ العالَمِ  
قد تمضي لتضيع  
في أدغالِ  
كوكبِ  
بعيدا!..

## بِلَمْسَةِ مَنْ أَكْفَّ النَّسِيمَ...

طريقك إليّ مُمَوَّهَةٌ بِأَثَارِ مَرَحِ الْفُهُودِ، وَلَكِنَّكَ تَتَقَدَّمِينَ. وَالْمَسَافَةُ الَّتِي بَيْنَنَا، بِلَمْسَةِ مَنْ أَكْفَّ النَّسِيمَ، تَصِيرُ نَهْرًا مِيْتًا. أَمَّا الْغُرْقَى فِيهِ فَأَحْيَاءُ. وَإِنْ أَحَدُهُمْ أَنْشَبَتْ فِي عُنُقِهِ الْأُظَافِرَ الَّتِي مِنْ فَيْرُوزٍ، فَسُرْعَانَ مَا يُلْفِظُ إِلَى أَقْرَبِ ضَفَّةٍ. وَالكَرَاكِي هِيَ الَّتِي سَتَمُضِي بِهِ لِيُدْفَنَ فِي أَجْمَلِ نَجْمَةٍ... هَلْ قَلْتُ لَكَ إِنَِّّي أَنَا نَفْسِي كُنْتُ نَهْرًا مِيْتًا، ثُمَّ جَاءَتْ تَمَاسِيخٌ وَبَدَأَتْ تَطُوفٌ حَوْلِي، فَغَافَلْتُهَا وَوَثِبْتُ بِقُوَّةٍ، فِي هَيْئَتِي الْأَدْمِيَّةِ هَاتِهِ، وَحَمَلْتَنِي سَاقَايَ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى هَذِهِ الْمَدِينَةِ، حَيْثُ أُوجَدُ بِانْتِظَارِكَ؟ وَأَنْتِ أَنْتِ، سَتَصِلِينَ ذَاتَ فَجْرٍ يَقْذِفُ مِنْ بَيْنِ شَفْتَيْهِ مُوسِيقِيَيْنِ أَمَامَ بَابِي، فِيمَا السِّمْفُونِيَّاتِ الَّتِي تُقَاسِمُنِي غُرْفَتِي، تَشْمُرُّ عَنْ سَيْقَانِهَا وَتَقْفُزُ مِنَ النَّوَافِذِ. وَسَتَتَكَلَّمِينَ عَنِ الدَّسَاكِرِ الَّتِي مَرَرْتَ بِهَا، وَتَرَوِينَ كَيْفَ قَطَعْتَ أَرْضَ التُّلُوجِ الْعَمِيَاءِ، ذَاتَ أُصِيلٍ سَقَطَ خِلَالَهُ الدَّبُّ الْأَكْبَرُ فِي الْأَحْبُولَةِ الَّتِي نَصَبَهَا لَهُ الْمَنْجَمُونَ، وَكَيْفَ جُسْتِ الْمُرْتَفَعَاتِ، حَيْثُ كُنْتُ أَبْدُو لَكَ، أحياناً، فِي مَدْخَلِ كَهْفٍ، أَوْ حَتَّى عَلَى قِمَّةِ شَجْرَةٍ، مَعَ أَنَّكَ تَعْلَمِينَ تَمَاماً أَنَّي هَاهُنَا، قَرَبَ الشَّعْلَةِ الَّتِي تُقَارِعُنِي الْأَنْخَابَ، وَإِذْ تُتَعَجَّعُ، تُحَاوِلُ أَنْ تَحْرِقَ أَنْفَاسِي وَشَعْرِي. وَأَنَا أَبْدُو مَتَوَجِّسًا، حَائِرًا، وَأحياناً، أَدْخُلُ

مَعَهَا بِاسْتِمَاتَةِ الْيَائِسِينَ، فِي مَفَاوِضَاتِ

نُجْرِيهَا بِدَاخِلِ إِحْدَى الْجَمَاجِمِ.

لَكِنَّكَ أَنْتِ أَنْتِ



طريقك إلي  
تُرْعِشِنَهَا  
بِخَطْوَةٍ.

## أكثر زرقه

لا تتركي يدك على جبين الليل  
وأحلامك، دفنيتها في بؤبؤي  
فالبردُ بدأ ينثر زغبه، هنا،  
حول الأغصان والشفاة الراحشة...  
أهزوجة ما تتناهي إلينا، أكثر  
زرقه حتى من اللامرئي  
تقولين إن نمة من يغني  
في هذي الغابة؟  
تقولين إن الغابة متبرجة  
بذهان السباع؟  
وأقول لك إنه الشتاء  
على أصابعك  
يخصي ذنوب الخريف...  
كوني، إذا شئت، أختاً  
للسحابة الجريحة  
التي تتبعنا  
وتلون شعرك بذكرياتها  
أبيحي، إذا شئت، لعظامك أن تصير

أكثر زرقَةً  
حتَّى من اللامرئي!  
لكن، خَبِّرني لماذا  
-حين فكرنا سويَّة-  
ونحنُ أمام مائدة الإفطار-  
في كل تلك القُبل المنسيَّة  
على العتبات  
انهرق نخاع الكأس  
في معصمك  
ثم علا صُراخٌ  
في الحليب؟

## الأمطار تَحَصَّنَتْ

لَمْ تَكُونِي

حِينَ الطَّائِرَاتُ الَّتِي مِنْ شَمْعٍ

ذَابَتْ فِي عَيُونِ مَوْتَاهَا

حَدَثَ ذَلِكَ فِي الْهَجِيرِ

كُنْتُ أَصْطَلِي بِنَارِهِ

وَكُنْتُ مَقِيمَةً فِي شَتَائِكَ

وَمَطَّرْتُ جَمِيلَ

يَهْمِي عَلَى

حَلْمَتَيْكَ

ثُمَّ جَاءَتْ إِنْاءُ غَرِيبَاتٍ

مَا جِنَاتُ تَقِيَّاتٍ

أَلْهَيْتَنِي زَمناً

عن النوم في حديقة

ولمّا، أخيراً

في حديقة نمتُ

أيقظتني غيومٌ يدّيكِ

ثانيةً

وما تأسفتُ

فقد تعودتُ

أن يتكاثفَ الحنينُ

في أظافري

أن تغرقني

في مياهِ أعماقي

وكانَ يحدّثُ أن تتحوّلي

ريحاً مراهقة

الوّح لك بيديّ

فتُسقطينَ أوراقاً

وتهبّين في أحداق

قُلْتِ: نَلْتَمِي بِالْأَلَامِ

نَجْمُ ضَوْءِ الْوَهْمِ

بِأَهْدَابِنَا نَتَضَامِنُ

مَعَ دَمِ الْعُصْفُورِ

كُنْتُ فِي الْهَجِيرِ

أَذَابَ إِنَانًا غَرِيبَاتِ

سَخَّنَ الْفَاظًا

فَتَّرَ رِعْشَاتِ

لَكِنَّ اللِّغَاتِ

هَبَطَتْ مِنْ أَعَالِي الْجِبَالِ

وَالْأَمْطَارَ تَحَصَّنَتْ

فِي الْخِرَائِطِ

نَاعِمَةً كَأَنْتِ لَفَظْتِكِ

أَعْيَادُكَ انْسَكَبَتْ فِي قَوَارِيرِي

والمُقل المغروسة في الثلج  
بدأت تُزهر  
في الثلج

ولم نكن  
حين غدينا بالسفر  
السهر الطويل  
حين وجّهنا أنفاسنا طلقاء  
إلى قلبينا  
وَدَلَّيْنَا التماثيل  
في الآبار

قُلْنَا لَوِ الْمِرَاةُ أُضْبَحَتْ  
صَرَخَتْهَا الْخَاصَّةُ  
لَتَحَوَّلْنَا إِلَى لِبْلَابٍ  
وَأَبْقَيْنَا جَسَدِينَا فِي السَّرِّ  
وَأَنهَكْنَا التَّلَالَ!

وإذا جاءنا البحر  
ظمّنا في الكتب  
حتى يُصبح هديره  
ذا أبعادٍ فلسفية  
فتسدل السّكينة  
على السّواحل  
وتُقيم الموسيقى  
في جنون الأزهار

قبل أن أعرفك  
عرّفتُ ومضّ ذكرياتك  
كنت قد فقدت  
ميولي الاجتماعية  
استبدلتُ بها أشواكا  
ذات أحلام  
أجراًساً  
تعرف القلق والنّدم  
عدّماً ناضباً



أنيقاً

يُوشِوشُ لي:

ستجدُ السرَّ كلّه

في انقِصافِ عمرِ سلحفاةٍ

في انقطاعِ أوتارِ نَجْمَةٍ

وفي وسواسِ الثَّواني

ستكتشفُ زَمَنَكَ

قَبْلَ أنْ تريني

سرِّكَ لوعتي

حدّقتِ في انعدامي

قطفتِ بتلاتِ ظلامٍ

ابْتَعَثْنِي في ضلالةِ رقيقةٍ

في أبدِ متناهبٍ

في مشهدٍ أخيرٍ

في ضاحيةٍ

حيثُ كانَ جَسَدانَا

يَعْكِسانِ الأضدَاءَ ألواناً

فيما، أمام أقدامنا  
كانت جسور كثيرة  
تتبخّر!

- 4 -

قوائد من مجموعة

فراشة من هيدروجين

## كوكبٌ مُعزبٌ...

كوكبٌ مُعزبٌ

فوق رأسي

ينزفُ مطراً

قاتماً، يملأُ جراري

بألم الأعشابِ بقلق

الظير

تبقى يداي سعيدتين

بعد أن يهمسَ لهما النَّبِيذُ

بنشيدِ طفولته

## لفائف سحرية (1)

نحن وحيدان في هذا المقهى  
ولا نأمة تصل آذاننا، عدا  
هسيس عظام فجر  
يشيخ سعيداً  
نُصت، نُدخّن لفائفَ  
سحرية، يخفّ وزننا  
نرتفع، مُبدّئين في  
الهواء، مطراً  
ونُدْف تلج...  
الأرض نفسها  
داخّت، فما عادت تجتذبنا  
ويبدو أنّها كفت  
عن الدوران!  
غربانٌ تحسب أنّها كواكب  
بدأت تدور حولها

## لفائف سحرية (2)

نُغْنِي بِاللِّسْنَةِ الَّذِينَ رَكُضُوا

بِمُجَرَّدِ مَا وُلِدُوا

فِي مَا ثَلَاثُ غِيَمَاتٍ

تُحْتَضِرُ حَوْلَ رَأْسِنَا

الْأُمَّهَاتُ فِي هَذَا الْمَقْهَى

أَقْلُّ مِنْ أَسْمَائِهِنَّ

دَخْنَا وَدَخْنَا

فَمَضَتْ عِظَامُنَا

لِتَوَازَرَ أَخَانَا الْمَطَرِ

أَخَانَا السَّاقِطِ لَكُنَّا

نُبَجِّلُهُ

مِنَ الدَّخَانِ صُغْنَا أَطْفَالَاً

دَلَفُوا إِلَى بَطْنِ أُمِّ

وَهَنَّاكَ تَلَالُؤُوا

### لفائف سحرية (3)

من حولنا قلوبٌ صغيرة تُشَفِّقُ

وصناديقُ يُقالُ فيها الحديد فيه

بأشٍّ شديد

لكننا ندخنُ وجداولُ النسيم

بخنوتِ تلامسِ أكتافنا

نعلمُ أنّ جسدنا قد يضيعان

في هذه العاصفة

من التصفيق

الآبار محظورةٌ في هذا المكان

إنّهُ المقهى الذي وأدوا

تحت آلام القمر

يَوْمها، تركنا رأسينا في غابة

لِتستعملها العنادل

المضروبةُ الأعناق

## تَرْسُو المَرْبَعَات

رغمَ أَني مُخْتَرَع

بارومتر الألام

فقد سئمتُ المكوث في هذه الجزيرة

كلّما انزاحتُ نحو السّاحل

أقول: إِنَّه التّسيم الهائم

كلّما بدأنا نتأمّل الشّفق، كلُّ

في قعر كأسه

إلا وترسو قُرب رؤوسنا المَرْبَعَات

التي تأسر بين أضلاعها العصافير

ويوم أُعيدت إلينا أنفاس الغابة

بدأت أرقامنا

تتبعنا!

ثم سقط وجهي الحجري

على وجهي

وها إِنِّي أزمعتُ الرّحيل



بعيداً، بعيداً  
حتّى مدينة المعارك  
التي تنزلق على جدرانها  
الكدمات  
حتّى ضفّة النهر الذي يُكندن  
كُلّما ابتسم فيه غريق

## حَتَّى الصَّحْرَاءِ

أفكّر: لِمَ كلَّ هذِي الدّموع  
التي تتشكّل خِفيَةً  
تحت أظافرنا  
ولِمَ تتوجّس الأشجار  
من سُعوب العصافير  
أفكّر: يجبُ أن نستمّر في السّير  
حَتَّى الصَّحْرَاءِ  
التي تُنبِت فيها المسامير  
أحياناً، يبدو لي  
أنّه لا مبرّر لوجودي  
سوى أني زاويةٌ  
في مُثلثِ رعشات  
برقٍ في غابة  
شرّ في عيون الصّيف

## في ربيع العمر

رأفةً، لم نُوقظ الدّموع  
المتمدّدة جنب رأسينا  
وكلمًا عمّ الأرق  
أعاليّ الجبال  
زوّدنا الجداولَ المنهكة  
بنغماتٍ ومُسكّنات  
كُنّا بعدُ في ربيعِ العُمر  
فما إنْ ضربنا خياماً  
لقبيلة الرّضّع التائهين  
حتّى دفعتْ بنا العصافير توّاً  
إلى مشارف السّتّين  
واحدٌ منها امتزج بهمسك  
ثمّ طار بعيوننا فلم نعدْ  
نُدرك منه  
إلا الرّفيف

لكننا، بكل تأكيد  
سنسترجع هاتيك العيون  
حين تسقط مع الثلوج  
في صباح شتائي  
خير  
من ألف شهر

## حيرة

لَمْ أَنْصَبْ فَخًّا لَطَائِرِ  
نِمْتُ قَلِيلًا جُنْبَ شَجْرَةٍ  
وَأَنْغَرَسَ حُلْمُ الطَّائِرِ  
حَتَّى أَسَافِلِ جُذُورِهَا  
أَخْلَامِي أَنَا مُشْتَتَةٌ  
فِي الْآبَارِ  
وَتَمَّةٌ عَيْنٌ تَجُوسُ  
دَائِرَةَ الصَّفْرِ نَفْسَهُ  
الَّذِي رَسَمْتَهُ أَنْفَاسِي  
أَمْضِي فِي سَبِيلِي الْوَعْرِ  
وَإِذَا مَا تَعَثَّرْتُ وَسَقَطْتُ  
يَبْعَثُنِي الضَّحْكَ وَاقْفًا حَتَّى الْغِيَمَةَ  
الَّتِي كَانَتْ أُمِّي قَدْ سَلَّمَتْهَا  
إِلَى سَمَاءِ الْإِيْتَامِ  
أَمْضِي فِي طَرِيقِي الْوَعْرِ  
لَا أَقْلُقُ إِنْ كَانَتْ قَدَمَايِ الْمَارِقَتَانِ  
تَنْبُشَانِ الْمَثَلَاتِ تَنْفُشَانِ رِيَشَهَا

ولا أبه حتّى بصورتى التى  
بدأت تُثَقِّبُ المرآة  
فما الذى يُمكن أن أفعله  
بكلّ تلك الحبال التى ستتدلّى  
من هاتيك الثقوب  
-أنا الذى رأيتُ يوماً  
جدولاً  
يتسلّل  
من فتق فى ستارة-  
وقلت: جاء ليُتحصّن  
وماذا يُمكن أن يرى طائر  
فى حُلْم  
ما الذى تستطيعه الشجرة  
بعد أن تمّ تأجيلُ المطر  
وأين طريقي، الآن  
وقد بدأ الضوء يتخفّى  
فى الذهب؟

## ذُكْرَى

كان عليّ أن أكون حاضراً  
أثناء الاستقبال  
أنّ أحتمل كلّ تلك القسوة  
أنا الذي لم أفلّ يوماً لجدول:  
أصنّت

أنا الذي كنتُ أشتري النوم  
بنقودٍ مسكوكة من أعصاب الجبين  
ولا أرى في الخلم سوى  
شجرةٍ من ماء

فيها يغرّق العُصفور  
وتنطفئُ جمرَةُ الرّيح  
قم لتكون حاضراً للاستقبال  
قال أبي

ذلك أنّ أحد أسلافنا  
قد أبحر

من ميناء الموتى

## بِحَنِينٍ

أحياناً، أستدرجُ كوابيس  
إلى غرفة نومي  
صمتي جَبَلٌ  
مكسوّ بالجليد  
فما عليّ إلا أن أُمسك  
عن الكلام  
لأترلجَ وأنتشي  
لكن أمتع من هذا  
بعض الكوابيس  
التي تندثر فيها سُلالات  
وتتبخر جُزر مغناج  
وتتذكر الصّحراء البحر  
بِحَنِينٍ



## رسالة إلى نفسي

أنا على ضفة نهر.  
السماء مُلبّدة  
بزئيق صفارات الإنذار  
في أحد الكواكب.  
أسمع أيضاً قرعاً في عظامي  
فكأنّها طبول دقيقة.  
في وسط النهر، تظهر السمكة  
أكلة الغرقى.  
على الضفة المُقابلة، امرأة تعرّى.  
وها هي تسبح على ظهرها، تتلذذ  
من رُكبتها.  
تُقبل نحوي ثم تعكس وجهتها.  
إنها متردّدة، إنها متردّدة.  
مياه النهر غاضبةٌ من هذا.  
غضبها يصّاعدُ شفراتٍ  
تُصيب الكثير من صغار الطير.

هل أبقى على هاته الضفة  
التعيسة؟  
يمرق أمام عيني طائر  
إنه يشحب ويشحب  
ربما هو خائف من الشفرات  
ربما هو يتذكر الشجرة  
التي احتضنت  
حبه الأول.  
أبقى هنا  
مُنصتاً للقرع المتصاعد  
من عظامي؟

## اكتئاب

وطنُ العين  
مَحَجِرٌ أو منطاد  
بالمنطاد يمكنك الصعود  
في الفضاء  
وصهيلُ الأرض  
ينداح من كتفك غناؤها من  
عينيك  
العيونُ قد تكون مستطيلة  
وأحياناً على شكل مُنمنمات  
قد تَغْمِرُ العُشب تُقَبِّلُ الندى  
فلها شفاه  
ورُبّما تجوبُ حاناتِ المدينة  
أثناء نوم أصحابها  
آه! في تلك الأيام  
في تلك الأيام الخوالي  
كُنّا شعباً قويّ الشّكيمة  
عيوننا تُقْذِفُ العُدُوّ

بِشُهْبٍ بِحِجَارَةٍ مِنْ سَجِيلٍ  
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ، كَانَ يَكْفِي  
أَنْ نَنْقَعَهَا لِلَّيْلَةِ كَامِلَةً  
فِي يُودِ قَوِيٍّ  
ثَاقِبَةً كَانَتْ أَنْبَارُنَا  
فِيهَا يُسْمَعُ هَدِيرُ الْمَوْجِ  
وَتَنْعَكِسُ مَلَا حَمٌ عَظِيمَةٌ  
لَكُنَّا كُنَّا أَيْضاً نَتَعَدَّبُ  
حِينَ نَتَذَكَّرُ أَنَّ عَيُونَنَا  
كَانَتْ، يَوْمَماً بَعْدَ يَوْمٍ، تَزْدَادُ  
تَصَلُّباً  
وَهَا نَحْنُ، وَاحِدًا فَوْاحِدًا  
نَنْزُوي، كَثِيبِينَ، كُلٌّ فِي قَعْرِ  
مَوْجَةٍ  
لَأَنَّ لَنَا عَيُونََ غَرَقَى  
لَأَنَّ حَيَاتِنَا  
خَالِيَةٌ مِنَ الدَّمْعِ!

## كُنْتُ مِنْ أَبْطَالِ هَوْمِيروس

أريدُ أن يبقى التّسيم على أناقته  
أن تحضّر الفرس في الموعد  
وأن تمضي بي  
في الوجّه التي تختار

أريدُ نهرًا يُوشح صدري  
فالبارحة، رأيتُ في الخُلم  
أني نازلتُ آخيل  
في الإلياذة

في الواقع، لا أُصِرُّ على شيءٍ  
من هذا  
فأنا الآن هادئ  
وعيناي وحدهما العنيفتان

## البئر (كما في حلم!)

كان بُخارٌ ونصالٌ النّغم تتصاعد من البئر التي يُنكران وُجودَها في غُرْفَةِ الفُنْدُقِ هاته وأنا أوْكَدُه... عبثاً يَسْعِيان- جاري وليام الأرمني والخدمة - إلى إقناعي!

الخدمة بِكاميراها التي لم تعد تلتقطُ صُوراً إلا لطائر يقضي الليل في شَعْرِها تُقدِّمُ لي كأساً، أما وليام فيتمشّي في الرّذْهة... ورغَمَ شَعْرِهِ الكثيف فهو يَمْشِي كأُضَلع، وهذا من غريب التّصنّع! كما أنّه سَيَمْضِي إلى الدّغل ويجمعُ أرمنيّات من الأعشاش ليعيش فيها حين لا نكون نراه...

تُحدّثني الخدمة عن رَجُلٍ اخْتَزَلَ بَيْتَهُ إلى مُكْعَبٍ صَغِيرٍ، فيما تَصْنَعُ شُموعاً من دموع، ومن النّافذة، يَدْخُلُ الضّوء مكسوراً ومُزَمَّماً.

ثمّ ها وليام، تتوالى على وَجْهِهِ طَرَقاتُ المِلح، وهو يتكلّم!

عبثاً يُحاولان زَعْزَعَةَ يقيني! ...

يُحاولان تشكيكي، لكنني أبقى

واثقاً كخُطوة تحت المطر...

فليُقْضَ عليّ بالبقاء

في غُرْبَتِي هاته

مع رائحة النّمل التي تَطنّ

حول المصباح

ولأبقُ أسيرَ هاءِ الهواء

إِنْ كَانَتْ لَا تُوْجَدُ بِئْر  
فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ

## يوتوبيا

أخيراً، أيها القلبُ بوحشتك

القليلة الغامضة

تنزلُ من نجمتك الأليفة

واضعاً يدك في يدي

يا قلبي الذي غطّى حدائق

بالنبضات

وها أنتَ، يا هذا الضوء

تهبّ متحمّساً

فقد ائتمنتك الطيور

على وميض دمائها

والملاحون الشجعان

التحقوا بنا

بعد أن أجبروا قراصنةً غُناة

على التخفي في أرحام

بنادقهم

أنا، أيضاً، مُتهَيِّئ



فقد كنتُ من مشاهير الكِماة  
وذاك ما تشهد به طحالب الهواء  
التي اخترقتها سهامِي  
مُجتمعين، سنُفلح بكل تأكيد  
الضوء سينيرُ طريقنا  
والملاحون سيمخرون بنا عباب البحر  
وقوسي وكناتي  
على كتفي!  
سنُحررُ الأمواج من حياتها الرتيبة  
ونجعلها تمشي على أقدام  
سنمنحُ هذه الأشجار التّعيسة  
ذكرياتِ طفولة  
ومرايا تبدو فيها  
غيداً مرحات  
ونُقيمُ لهذي الشمس التائهة  
الفقيرة  
أغشاشاً بين السّوسنات  
وبقصائد مضيئة

سنفتدى سبأيا الخروب القديمة  
والغيمة التي ما زالوا يأسرون  
في بنطال قديم  
لما ياكوفسكي  
ومن تشأ من الصبأيا  
اللواتي تحولن إلى أسماك  
نُعدها سيرتها الأولى!  
يقيناً أننا، مجتمعين،  
سننجح!

## وقائع

هذا الصّباح، لآقتني  
على امتداد شارع السنجاب  
- حيثُ، دوماً  
أقوم بنزهتي-  
شجرة ذات أنفاس حرّى  
ذات قوائم وبريق عين  
وحين ابتسمتُ  
إنقلب شجرة عادية  
لها جذورٌ وعصافير!  
يا أنا يا أنا  
ها هي خلفك الآن  
فإذا غنيتُما معا  
سيُغمى على الغيوم!  
وأثناء الظهيرة، كُنْتُ أمشي  
على الشاطئ

وكانت، أيضا، تتبعني!  
كانت تثيرُ زوبعة رمل صغيرة!  
فقلت: يا أنا يا أنا  
إن دغدغت إبطها  
فستهذي بأسمائك  
إلا أن شيئا من ذلك لم  
يتحقق فابتسمتُ  
لكنني تذكرتُ غابةً بأكملها  
كانت، في واحدٍ من أخلام طفولتي  
قد اجتُنَّت!  
وفي لحظة التذكر الأليم تلك، حلَّ  
الأملُ فجأة، إذ بدأتُ  
غابتي الضائعة  
تتنامى، من جديد  
أمام عيني  
معافاةً، رهيفةً، مناسبةً  
على شكل شعيرات سوداء  
في عانة غادة

وقفت فجأة، وحيدة، مشيقة  
قُبَّالتي، واقتربت، جريئة...  
ثم كان السَّاطعون الذي  
ينحتُ في الصَّخر  
وكان الأشيب الذي  
يبيعُك رطل الكهرباء بدرهمين  
وكانت مياه البحر  
والفلكيات البرمائيات  
اللواتي قد يخرجن في أية لحظة  
من تلك المياه  
ويمضين للتسكع في الحقول  
آه! الفلكيات عاشقاتُ الأعشاش!  
وكانت الشمسُ تُلوح جسدي  
لكن لا شيء من هذا كلُّه  
يُمكنهُ أن يعدل عندي  
خطوةً  
في شارع  
السَّنجاب!

## حكاية

رَجُلٌ مَفْتُولُ الْعَضَلَاتِ  
يَسْتَطِيعُ أَنْ يُلَاكِمَ الزَّبَدَ  
مَعَ هَذَا، جِدًّا رَقِيقًا  
رَأَى يَدَيَّ الْفَجْرِ تُقَطِّعَانِ  
فَأَجْهَشَ بِالْبُكَاءِ  
وَمِنْ دُمُوعِهِ  
تَكُونَتِ الْيَدَانِ مُجَدِّدًا  
أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِينَ مَرَّةً، نَزَلَ الدَّرَجُ  
نَحْوَ غُرْفَةِ الْأَحَدِ  
فِي كُلِّ مَرَّةٍ، يَطْرُقُ الْبَابَ مُطَوِّلاً  
وَلَا مِنْ مُجِيبٍ  
بَدَأَ شَكَّهُ يَهْصِرُهُ  
وَأَخِيرًا، أَدْرَكَ أَنَّ الْأَحَدَ قَدْ اخْتَفَى  
أَنَّ الْأَيَّامَ الْمُتَبَقِّيَّةَ  
فِي حِدَادٍ  
وَأَنَّهُ يَطْرُقُ بَابَ غُرْفَةٍ فَارِغَةٍ

إلا من رائحة الدّم

وبقايا كوابيس

## وقفتُ إلى جانب البئر

أنتِ لستِ الآن في الغرفة- لأنك تبحثين في الحديقة، عنِّي أو عن السحليّة  
التي غارت في رائحة العسل- فيما، من النافذة، تدلف الآهة، قادمة من فم  
بعيد، فتُحدِّب ظهورَ المناضد وتُحيل أغنيتي إلى غبار.

أنا الآن على الشاطئ: أمامي السحرة، صهْدُ عيونهم حوّل بيوتاً عديدة إلى  
دخان. العالم رهيب، يُكرّرون، فتنشبُ حروب ويتساقط نخاع شوكي كثير  
في صحون الباذنجان المقليّ وتشدّ ألأم كلِّ هائم...

سأليني مرّة هل تُزعجني قرعةُ عظامك أثناء النوم. حدث ذلك ليلة شاب  
القمر. وكان الألم يتساقط مُوهماً أنه مطر. ومضينا معاً إلى الحديقة، فوقفنا  
إلى جانب البئر التي تحلم ببلد بعيد.

وها أنا، من جديد، أمّر يدي على سنام منضدة، وأدرك أنني لن أذهب غداً  
لرؤية عظام جدّي، وأنت ستصفينني بالكسول، العبثي، بالتائه الأبديّ.

أحياناً، تكون ماضياً في طريقك، فإذا بنحلة تعترضُ سبيلك، تتمدّد  
أمامك في عرض الشارع، فتبقى واقفاً فوق ضحكتك، ويحييك صديق يوناني  
يَبذر قمح الإلياذة في أثلام كفه اليسرى، فتقف مشدوهاً، إن لم تُلذّ  
بالفرار.



## والتفاحة في يدي...

كيف يُمكنني أن أشعل السجارة،

وكلّ القدّاحات تَخَفَّتْ في رُديك، مُذ رأيتِ في الحلم أنك تُحرقين خدّي.

بالأمس، كُنّا في الطريق إلى عيادة الطبيب، ومرّ أمامنا صديقي المجنون،

وكان يكرّر: النحلة تحت السّاطور، النحلة تحت السّاطور، وشعرتُ أنّي

سأبكي أو أضحك، لكنه اختفى سريعاً، وكان دمّ ينسابُ من الحُقن التي

تخبّ جنب أقدامنا، والطقس بداخل آذان الكلاب يتحوّل من فاتر إلى شديد

البرودة، وفي الأعلى، عين الرعد تتسع وتتسع.

لماذا تريدان إحراق خدّي؟

مسحتُ أعصابي بإسفنجة كما يفعلون أحياناً بأعصاب السيارات ثم وجدنا

نفسينا على الشاطئ، وأردنا أن نتأمّل البحر. لكنّ لم يكن قد بقي منه إلا سبعُ

موجات عجاف، يَحْمِلن في مقاعدهن الخلفية سبع نساء ضاحكات. إلى أين

يتّجهن بهن؟ في كفّ كل امرأة شمعدان. وفي الجُحور القريبة، سقط مطر على

الفئران. وكان هنالك من يطوي البُسُط ويفرّش الصرّخات.

والتفاحة في يدي تكاد تختنق. ويدك تعبثُ بشعري.

الطبيب قال لا تركبا، بعدُ، سيارة جريحة.

## التقيتُ بالحصان

أمضي شاحباً، لا أتوقف إلا جنب الفتاة التي تمدّ يدها فوق بحيرة تقولُ إنّ ماءها  
سينضب إن استمرّت السمكة الحمراء في عضّ الطحالب ذات الأحذية الحديد.  
تقول: إنك شاحبٌ لأنني امتصت لسانك وأنت نائم.

وأنا لم أركب اليوم حصاني لأنه كان قد نسي حدوة يومٍ بلغ أشده قرب جدولٍ،  
وأصبح يهاب الضفاف!

التقيتُ بالحصان في آخر تانغو بياريس، وبالفتاة حين كُنا نلبس جواربنا أمام  
إحدى الكاتدرائيات، وسرعان ما وجدنا نفسي نَصْفِرُ في طنجة. روث لي كيف  
كانت ترسم دوائر خضراء لِيُرَبِّي فيها الشّئاء أغنامه. وقالت إنّها بدورها ربّت  
فراشة من هيدروجين في شعرها.

أخبرتها بأني، في الطفولة، كنت قد ركلتُ تمثالاً، فاخرقتُ شُعلةً قنديلٍ حشداً من  
الكلاب نحوي. وكنْتُ، كلما تشكّلت قارورة من ظلّ يمامة، أسارع إلى ملئها بماء  
بارد!

قالت: أنت نهري الشاحب، أنت نهري.

## إِنْ كُنْتُ مِنْذُ الصَّبَاحِ...

لَسْتُ مِنْ يُجَامِلُ. أَتْرِكُ قَلْقاً يَنْسَابُ فِي بُلْعُومٍ أَوْ فِي أَنْابِيبِ الْقَصَبِ، حَسَبِ  
الطَّاقِسِ وَكَيْفَ هُوَ مَزَاجُ زَهْرَةِ الْأَسِّ عَلَى كَتْفِ النَّدِيمَةِ لَيْنَا. وَإِنْ كُنْتُ مِنْذُ  
الصَّبَاحِ فِي هَذِهِ الْحَانَةِ، جَنْبَ هَذِهِ النَّافِذَةِ، بَعْظَامِي الَّتِي تَتَحَمَّسُ أَيَّامَ الْمَآسِي،  
فَذَلِكَ لِلتَّعْبِيرِ عَنِ تَضَامُنِي.

مَعَ مَنْ؟ يُسَائِلُنِي بَعَيْنُهُ الْمَخْمُورَةُ الْبَدِينُ الْجَالِسُ قِبَالَتِي، وَكُنْتُ حَسْبَتَهُ يَعْلَمُ...  
مَعَ مَنْ! مَعَ أَوْلَادِكَ الْأَقْرَامِ الَّذِينَ جَعَلْتُمْ مِنْهُمُ الْغَابَةَ الْقَرِيبَةَ أَشْجَارَهَا  
الْقَصِيرَةَ!

الْأُولَى الْآنَ الْإِنْسَاتُ لِصَفِيرِ أَظْفَارِي الْمَأْخُودَةِ بِحُلْمِهَا الْمُتَكَرِّرِ، حَيْثُ أَظْهَرُ،  
بِدَايَةً، فِي شَاطِئِ. بَعْدَهَا، تَقْتَرِبُ مِنِّي امْرَأَةٌ فِي لِبَاسِ مَمْرُضَةٍ - يَتَضَخُّ أَنَّهَا  
لَيْسَتْ سِوَى لَيْنَا - حَامِلَةٌ فِي يَدِهَا حَقْنَةً تَقُولُ إِنَّهَا مَمْلُوءَةٌ بِفُودِكَا رُوسِيَّةً  
خَالِصَةً! نَمَّ تَوَجَّهْتُ إِبْرَتَهَا نَحْوَ ذِرَاعِي!  
فَجَاءَتْ، أَتَنَّبَهُ لِمَا حَوْلِي.

وَأُشِيخُ بَوَجْهِهِ نَحْوَ النَّافِذَةِ، فَمَا الَّذِي أَرَاهُ فِي الْأَعَالِي؟  
طَيُورٌ غَرِيبَةٌ تَحَلَّقُ فَوْقَ الْغَابَةِ الْقَرِيبَةِ، الَّتِي جَعَلْتُمْ مِنْ أَوْلَادِكُمُ الْأَقْرَامِ  
الْمَسَاكِينَ أَشْجَارَهَا الْقَصِيرَةَ!

- 5 -

قصائد من مجموعة

رَجُلٌ يَبْتَسِمُ لِلْعَصَافِيرِ

## مُنذ دهر

منذ دهر وصنّارتي في الماء  
ولمّ أصد سوى السّام.  
لا أرى غَيْرَ قوس قزح ينزل  
وبابِرٍ ذهبية  
يُطَرِّزُ حواشي الأمواج  
ولا أسمع سوى أنفي الذي يَنْزُ كَنَحْلَة  
كلما أفرغْتُ رِقِّي.  
ثمّ خَرَجَ نديمي المساء من البحر  
وأقبل نحوي  
حاملًا طَيِّ أجبانه  
سَمَكًا كثيرًا وفي كَفِّيهِ  
مَحَارٌ طفولتي!

## مِزْوَحَةٌ

إِبْقَ فِي بَيْتِكَ فَلَا جَدِيدَ فِي الْخَارِجِ  
أَتُرَاكَ تَرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ لِتَرَى الْمَجْنُونِ  
يَتَأَمَّلُ فِي غَيْمَةٍ-مِرَاةٍ  
نِصْفَ وَجْهِهِ الْأَثِيرِ لَدَيْهِ  
أَوْ لِتَرْمِي بِحَجَرِ  
الْخَذْرُوفِ الْخَرِيفِ  
الَّذِي لَا يَكْفُ عَنْ الدَّوْرَانِ  
تَحْتَ أَعْمَدَةِ الْمَصَابِيحِ  
أَمْ أَنْكَ تَرِيدُ أَنْ تَلْتَقِطَ صُورَةَ أُخِيرَةَ  
لِمِزْوَحَتِكَ الْمَسْكِينَةَ  
الَّتِي تَفَكَّكَتْ عِظَامُهَا  
بَعْدَ أَنْ لَفْظَتْهَا بِلَا رَأْفَةٍ  
أَيْهَا الْقَاسِي  
يَا حَفَّارَ قُبُورِ الْقَنَانِيِّ  
هَكَذَا تَحَدَّثَ إِلَيَّ طَيْفُ أَوْفِيلِيَا  
وَأَنَا أَمْضِي نَحْوَ الْبَابِ وَمِنْ بَعِيدِ

يَصِلُنِي هَدِيَّةٌ حَمَائِمَ  
مِنْ نَبِيذٍ

## مقادير مجهولة

مَعَ الفجر جاءت من مغاورٍ بالشاطي  
حِسانٌ مُشاكسات  
وبأنغام النّيات  
شرعنَ في تهيجِ أشجارِ  
الشارع الكبير  
في الصّباح تَوَزَّعَ في جنبات المدينة  
أطفالٌ من مرجان  
ليحرسوا باراتِ يومّها عميانٌ  
وخيولهم  
بعد الظهيرة كان من بيننا من أغفى  
في سينما مياليس فيما كانت سارة مائلز  
في دورِ ابنة راينُ تتلقّى الشّتائم  
مذعورةً  
بُعَيْدَ الغروب ظهرت أشباح



درّاجاتنا القديمة  
وبدافع الحنين اعترضتْ سُبُلنا

في الليل ربّما تُوجِزُ المدينة  
هل حقّاً سنُصبح  
في حجم قبضة اليد  
بعد أن عشنا فيها طويلاً  
كمقادير مجهولة  
في مُعادلات الرّيح  
والليالي

## سينما

خلال تلك الظهيرة، ونحن في طريقنا إلى سينما مياليس، ما إن سُمعت صفارات الإنذار وطلقات رصاص، ما إن بدأت سيارات إسعاف تناعي جرحاها، حتى أوشكت أيزومي، اليابانية العجوز، التي كانت تمشي أمامنا، التي كنا نعلم أنّ عظامها مسلات رفيعة، وأن لها قدمًا داهية تعرف كيف تخضّر وسط الأعشاب - أوشكت أن تتهاوى كزبا، رغم أن أصوات الصفارات وزعيق السيارات كانت تتناهى إلينا من فيلم على وشك الانتهاء في سينما مياليس.

ما زال أمامنا وقت قبل أن يبدأ الفيلم الذي سنشاهد.

قبالة السينما، بار مياليس، في مدخله حراس

يتطلعون إلى الداخلين

بعيون من كحول.

أصطحبك لنشرب كأسا

10 خطاطيف يحلّقن فوق رأسينا. تسألين كيف تعرّفت إليهنّ أول مرّة؟

تعارفنا، ذات صبيحة بعيدة بين شجرتي كافور، كانت الشمس تُوجّه إلينا نظرات مُحتدّة، والطفلة-الساحرة، بقُرْبِي، تُخرج من سُرّيها كريات زجاجية وترمي بها إلي. فهل أحدثك، أيضا، عن ذلك الجزء من البحر الذي كنتُ أسبح فيه، بالسرّ، رغم أنّهم كانوا قد اتّخذوه متحفًا لعظام الغوّاصين القدامى؟..

والآن، أنهي كأسك حتى لا يفوتنا الفيلم.

حين ينتهي العرض ونغادر القاعة، نرى قدامنا أيزومي مُجدِّداً. لكنّها في هذه المرّة،  
تمشي مرحة، خفيفة، متناسية للحظات أخواتها اللائي تركتهنّ في قريتها البعيدة،  
هناك قرب طوكيو. بل ها هي قد بدأت تغني، بفرنسيتها المتكسرة:

« إذا كنت موسيقياً أيها الهيكل

العظمي

فأقم عندي

أقم عندي إلى أن

إلى أن

تكتسي باللحم

إذا كنت موسيقياً أيها الهيكل

العظمي

فلا تبق في المقهى

في هذا البرد... »

وها أنت ترددين معها:

«إذا كنت موسيقياً أيها الهيكل العظمي

أيها الهيكل العظمي...»

## من نصائح جدّي ومأثور أقواله

- لا تأبئة لهم إذا  
وضعوا عظامك تحت المراقبة  
أخف الأجراس في الأعشاش  
رُصّ أحلامك في الأقداح  
دُشّ الكهرباء في الأحجار  
فلن يعثروا ضدك  
على دليل

- لا تخرج في منتصف ليالي الجليد  
إذ المقاهي وحدها تجوس الشوارع  
والعسس مُغلّقو الأبواب  
ولا تبغ حذاءك القديم  
أتركه حتى تعود من سفرك  
واسكن فيه

- إذا رأيتَ الجرادَ يغزو رئات الرّاقصات  
وَزُكِمَتِ الغُرْفُ وعزّ الدّواء  
إذا رأيتَ مجنوناً يلفّ صرخته حول ساعده  
وأنتى من طحالب يضاعفها غريق  
فاعلم أنّها حربٌ جديدة  
تتهيا في الخفاء

- لا تُسافر أبداً  
إذا أضربَ ربابنةُ البرق  
وسرّعتِ الأرضُ دورانها  
لثُدُوخِ النمل  
وتمّ استنساخُ الرّيح  
فهذه كلّها من علائم النّحس

- لا تَبِعِ القناني الفارغة  
إذا كان ينبعثُ منها الشّخير  
واتّبِعْ نصيحةَ أبي حيّان  
فلا تنم إلا وقربَ رأسك حجر

## أَوْ حَجْرَانِ

- إِذَا اقْتَرَبْتُ مِنْكَ نَمْلَةً

وَرَأَيْتَ فِي عَيْنَيْهَا صُفْرَةً

وَسَمِعْتَ صَرِيرَ مَفَاصِلِهَا

فَاعْلَمْ أَنَّهَا لَا مُحَالَاةَ هَالِكَةٍ

وَإِذَا رَأَيْتَ الدَّمُوعَ

الَّتِي تَنْهَادِي عَلَى الْأَعْشَابِ

قَدْ سَارَعْتُ إِلَى دُخُولِ

غَيْرَانِهَا

فَاعْلَمْ أَنَّهَا تَوَجَّسَتْ مِنْ خَطَاكَ

إِيَّاكَ وَمَشِيَةَ الْعَسْكَرِ

- لَا تَتْرِكْ قَطَّ أَنْفَاسِكَ الْإِحْتِيَاطِيَةَ

فِي مُتَنَاوَلِ غَيْرِكَ

- إِذَا انْدَسَّتِ السَّجَائِرُ فِي شَقِّ

حَائِطِ

لا تُشَقُّ عليها  
لا تجعلها تخرج من مخبئها  
مرغمةً  
إمض لتتجوّل بعض الوقت  
وإذا مررت جنب جدولٍ لعاب  
فحاذر أن تطأه بقدمك  
اعلم أنه تسلل من سجنٍ للشّفاه  
واسأل عن بيت المهندس الذي  
اكتشف آبار نبط  
في جمجمته  
إنّه عمك  
الذي أنجبته لي امرأة  
من الماضي السّحيق  
تعرفتُ إليها وهي بعدُ  
محمّلةٌ بموج الشّمال  
في سنة زحفت فيها الكهوف  
على المدن  
وصارت، رحمها الله، في آخر

أيامها

تسوخ، شيئا فشيئا، في الثلج

المتهاطل من ذاكرتها

إلى أن اختفت

كلية

- إذا كنت في سفر

ووجدت نفسك على مشارف

غابة

وأظهرت لك نبتة قُرّاص

لسانها

فاعلم أنّ المثلثات قاطعة الطريق

تكنن للعابرين خلف الأشجار

تأهب

أخرج قوسك

اختر الأصلب من سهامك

وإذا خلّصت الناس من ذلك الخطر

ربحت بطاقة سفر إلى جزيرة



جميلة وشبقة  
تجدها في استقبالك  
عارية

## ربّما يكون لي حصان

الفتاة التي أحببتُ وأنا في السادسة عشرة  
في البداية، لم تُبادلني عواطفي  
حزنتُ ثمّ نسيْتُها  
لم أعد أترصّدُها كلّ أحد أمام بيت أبيها  
حيثُ تصنّع الكعك  
تُدّرُس حياة الجراد  
وتُنصتُ إلى أغاني الحاجّة الخمدائيّة  
يحلُّ الأحد، فأمضي إلى البار ثمّ  
إلى ملعب كرة القدم لتشجيع الفريق الذي أناصره  
إنّه دينامو البرنوصي  
أو إلى البار ثمّ رأساً إلى غرفة مريم  
التي تبيع لي الهوى بالدّين وفي المُقابل  
أطفئُ الضّوء قبل أن أستلقي في سريرها  
وأتخيّل أنّها الفتاة التي أحببت  
وأنا في السادسة عشرة  
بعد وقتٍ سنمتُ لعبة التّخيّل تلك وأصبحتُ أضاجعُ

مريم باعتبارها مريم فحسب  
التي تروي لي قصة حبّ والدها العسكري وأمّها  
التي قضت طفولتها في اليونان  
ثمّ في غمد سيفِ أبيها  
لكنّ القصص، كما لا يخفى عليكم، لا تنتهي  
كلّ يوم أحد  
تخرج الفتاة التي أحببتُ وأنا في السادسة عشرة  
تمضي لتحيّي البحر، ثمّ لشراء  
مجلة متخصصة في وصفات الكعك الجديدة  
تمشّى على قارعة الطريق تتلقّى  
التهنئة من رجل يجوب البلاد بحثاً  
عن امرأة أضعها في مرفأ  
يقول الرجل إنه يهنئها بمناسبة حصولها على البكالوريا  
لكنّي لم أجتز بعدُ الامتحانات، تقول هي  
فيخجل الرجل البدين  
وينصرف ويقوم بجولة في رواقِ بالسوق  
الأسبوعيّ تباغ فيه النّياتُ بحثاً  
عن ناي مسحور

يُمكنه أن يعزف لك تلقائياً سيمفونيةً  
أو موسيقاً أوبراً  
لموتسارت لهايدن لمندلزون  
أن يُغنيّ لك أغنية  
للحاجة الحمداوية  
أما هي فتصرف لتذرع أرجاء  
جناح من السوق الأسبوعي نفسه  
خاض بباعة الوجوه القديمة ومساعدتهم  
من الكيميائيين العميان  
بحثاً عن وجه شهرزاد ووجه حسناء  
من تمبوكتو  
ووجه غريتا غاربو  
في البداية، لم أكن أعرف أنها  
تستعدُّ للتنكر، كنتُ وقتها  
في الملعب أصفّر بأقصى جهدي  
ضدّ الحكم الذي أعلن عن ركلة جزاء  
ضدّ دينامو البرنوصي  
لكنني هذا الصّباح، غبّ ليلة اعتقدتُ أنني

قضيتها مع واحدةٍ من أجمل فتيات تمبوكتو  
اكتشفتُ أنّ ضجيعتي  
لم تكن سوى مارية، الفتاة التي أحببت وأنا  
في السادسة عشرة  
لقد استعملتُ قناعاً إذن  
بعد سنة من الآن سنتخاصم  
بعد سنة من الآن ستكثر الدّراجات الناريّة على  
الطّريق التي تؤدّي إلى بركة عوّا  
بعد سنة من الآن ستتلوّى هضبةٌ من مَغص شديد  
والمداخنُ ستطوّعُ لتحملُ آلام الولادة  
عن الفتيات الحوامل  
بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث  
سأكون في غابة بعيدة  
لن أكون قد أصبحتُ فهداً أو بيغاء  
سنجاباً أو زرافة أو عظاية  
لكنّ ستقيم معي امرأة في كوخ في غابة  
أو في كوخ على شفا حوض تعيش فيه تماسيح  
صغيرة مسالمة تستطيعُ حتّى أن

تُصافحك بأطراف أذنايها  
هناك قرب تمبوكتو  
سيكون الطقس حاراً جداً  
وربما سيكون لي حصانٌ عظامه  
من شرار  
حصان هادئ جداً روحه  
من مسحوق الذهب  
ربما تكون لي دراجة  
تستطيع بصير عجلاتها أن تصنع السراب  
الذي يجتذب عابرين كثيرين  
هكذا سيُمكنني أن أستقبل في كوشي  
راقصاتٍ شهيراتٍ  
مثل الجوكندة  
وأبطالاً في القفز العلوي  
مثل حمُّورابي  
بعد سنة بعد اثنتين بعد ثلاث  
فثمة أنفاس باردة تنطلق الآن من عيني  
وتُصبح ضبابية كبيرة تجدها في المساء

قد حاصرت القطارات والأرامل  
لذا أسارع بالوقوف وربما بعد دقيقة  
بعد دقيقتين بعد ثلاث  
سأغادر هذه الغرفة  
في طريقي إلى بار مارسيل سيردان، ألتقي  
زميلتي في العمل، لا أستطيع تذكر اسمها، لكنها  
تدعوني لمعرض لوحاتها  
الذي تقيمه في عرض البحر، بحثاً  
عن التميّز  
لا أستطيع أن أسبح حتى هناك، أقول لها  
فتُجيب: لقد أصبتُ شَعْرَكَ  
برصاصاتي  
وفي شارع الإريبانية، أجد أعزّ أصدقائي  
في انتظاري نمضي لنشرب معاً، إنّه ذو سلطة  
في البحر إنّه  
ينشغل الآن بتوجيه سهام البارانونيا إلى  
أيائل مُتَخَفِّية خلف عجلات السيّارات  
فيما أفكّر في مُستقبلي

وما سأفعل وما سيحدثُ لي

بعد سنة بعد سنتين

بعد ثلاث



## قُرب السَّنَجِب

العشيقة غائبة منذ أيام  
الغرفة نائمة منذ ساعات  
مُطَوِّقَةً بسياج من لُعاب جدرانها وأنتَ أمام الباب  
ولا تَدْخُل  
وَكُنْتَ وَقَفْتَ أمام باب المسرح طويلاً  
ولم تدخل ثم جاءك الخبر  
بأنَّ الممثل القصير الذي كنت تنوي  
أن تُجَرِّي معه حواراً لصحيفتك  
اختفى من على الخشبة بعد أن تهشمت أوفيليا  
وتناثرت قِطَع زجاج  
قالوا إنَّ لِلْمُثَلِّ القَصِير أنفأ من الهمهمات  
قالوا إذا أُغْمِيَ ثانية على الشَّفَق  
سيظهر من جديد  
الموتى ساكنو القناني  
ويهطل المطر  
وتبرز تجاعيد الحلزون الهرم

ليس لازماً أن تكون هاملت لتشفق على أوفيليا  
ولا داعي لأن تركل الباب بعنف  
من أجل أن تُوقظَ الغرفة  
وإن جاءتك من الدّاخل أصوات ارتطام الروبوبات  
فمعلوم أنها تنبثق  
من رواية الخيال العلمي  
المفتوحة على المنضدة  
قُرب قطرة الحبرِ المهيبة  
وأجراسِ النّحو التي ترنّ  
على رأس كلّ ساعة  
لا تنسَ أن تكتبَ إلى الغائبة  
ياه! إنك تتطلّع إلى الأشجار  
ياه! كم السّهر طويل على الأغصان  
وفي مدفن الألوان النّافقة  
ياه! في الأعالي غيومٌ من السّلوفان  
تُخشخش في الريح الباردة  
لا داعي لأن تركل الباب  
يحدث أن تنام الغُرف

أن يتناثر أحدهم شظايا  
أن تفرّ امرأة من تعاسة رجل  
ومع ذلك تستمرّ الأرض في تلميع شعرها  
إمض بروح المتشرّد التي تتقمصك  
واقض الليل في واحد من جراح الغابة  
قرب السّناجب الهاربة  
من الغيُتُوات

## رسالة

لا تغلبي فأنا لستُ تعيساً قضيتُ ليلتي الماضية في كنفِ الغابة حواليّ فضاءٍ مدهش  
تتماوج فيه أنفاسُ السَّناجب وقبل لحظة أمكنني أخيراً الدّخول إلى الغرفة أتطلّغُ  
من النّافذة فأرى الفجرَ كما عرفناه يتقدّم على قدميه القديمتين يتصفحُ مُسوّدة اليوم  
القادم يُدخل بعض التّعديلات ربّما على كميّة الأمطار المُتوقّعة في الظّهيرة هذا أمر  
مستعجّل فقبل أيام شُوهد النّوتية وهم يُهدّدون القطرة التي أفاضت النّهر  
لا تغلبي فالكلمات التي تحيا في رنتي آمنة كُلية والدموع النّائمة على كتف الجدار  
قبالتي تفوح منها رائحة الدّموع مِدوؤدُ الدّراجة أيضاً مملوء وخالي الذي كان سيُعَدَم  
لكثرة حروف العِلّة في اسمه عَفُوا عنه في آخر لحظة وكان منزعجاً من عطل طال  
أنفه لكنّ حاله تحسّنت بعد أن قُرِعَتْ في كتفيه دفوف العافية  
ساعاتُ هذا الصّباح متساوية الطّول لم تسقط ولا ريشة بين فكّي الجمرة المتربّصة  
ببُغاتِ الطّير

كلّ هذا وأنا أفتقدك بالأمس مضيتُ نحو مكتب البريد في طريقي قابلتُ الرّجل-  
المسمار سرّني كثيراً أنّه لم يصدأ كما ادّعى بعضهم ورأيتُ الباعة المتجولّين  
مصطفيين في طابور طويل يحدّجون السّحب بنظراتٍ رهيبة

حين وصلتُ كان السّعاة يوزّعون التلّغرامات بالتساوي على فقراء المدينة واحداً

منهم همس في أذني إبتسم العالم جميل وكل شيء سيمفونية تاسعة وأراد أن  
يعطيني تلغراماً لكن يدي كانتا متشابكتين خلف ظهري فيا لساعي البريد الطيب  
كل هذا وأنا أفتقدك ودميتك اللعوب لم تعد تحشر خطمها في سرتها كما أنني  
أعتني كثيراً بالألوان الخمسة التي هي أطفال اللوحة المعلقة في غرفتنا وحتى أثناء  
النوم أحتفظ تحت القناع بابتسامتي  
لا تقلقي أنتظرك في هذه الغرفة الممتمة طاقيّة من حبّ

## جَدَّ

على أقدامهم التي مشَّطت شعر الحقول جاؤوا  
من كابوس القبيلة كانوا قد نبشوا دموعاً  
ليستعملوها في أيام الحداد السَّبعة  
كانوا من عشيرة يشترك أبناؤها دوماً  
في نفس الأحلام  
في الليلة الفاتنة رأوا في المنام أنهم حلازين  
لم يستغربوا الرؤيا  
رغم أن الفصل لم يكن  
شئاً

من مستودع للأموات تُحفظ فيه جثث إلى أن  
يحضر الأهل لدفنها، سَرَقوا  
جُثَّة صديقهم  
غطسوها ثلاثاً في بُحَيْرَة  
نقلوها في عربة من شارع إلى آخر

وفي الطابق الرابع للملهاة  
أجلسوا الصديق على أريكة في البلكون  
مؤلين وجهه شطر المسيح الذي يبدو، من عل،  
كأنه غير واقعي  
وفي الآن نفسه، بيّن المعالم

عينا الصديق موجهتان إلى أسفل  
كأنما هو، أيضاً، يتملى بخضرة الماء  
بمراى أجساد غضة  
لإناثٍ يخفن صدورهنّ  
بقليلٍ من وهج الأصيل

الثلاثة شربوا في صحة الصديق  
لم يئنهم عن ذلك علمهم أنه ميت  
بل إنهم وضعوا أمامه كأساً  
وهو لا يدري كم ساعة مرّت على موته  
لكنه يدرك أنّ مجالسيه  
نثروا على وجهه أحلاماً بيضاء

كانوا قد اشتروها - للمناسبة- من سوق ليلى

يذكر أنهم ألبسوه ثياباً  
القميص جميل حقاً  
لقد نسجته بأسنانها عاقر  
كانت قد تبنت كوساةً ونحلتين  
قبل أن تتيه في الحقول، مَلوَّحة للفراغ  
بجدائل تعود إلى أيام  
طفولتها

يذكر آخر مرة دخل فيها بيته  
وكيف فوجئ إذ لاحظ أنّ الأبواب  
أصبحت من عجيب  
وكيف أقلع -أمام عينيه-  
الموقدُ بجمراته المشتعلة  
ودوم طويلاً في المطبخ الذي  
كان، هو، قد زين جدرانها  
ببلاطات اقتلعها



من قبور

ما كان أحدٌ، بعدُ، ليزورها

لكنه، الآن، لا يستشفّ جنب المسبح

إلا أشكالا هلامية

فيما جلساؤه يتحدثون عن خودِ حسان

يدغدغ ظهورهنّ النسيم

عن قطراتِ ماء خضراء

تلتمع على أرومة نهد

فكيف لميت أن يبصر حتى

وإن كانت نمة عين

تُوشّي جيب قميصه المطرّز

حتى وإن كان حديث عهد بالموت

وكانت العينُ نجلاء

حتى وإن كان في آخر جلساته

على سطح الأرض

حتى وإن، بين عينيه، كان يغبّر تابوت

ينوء بحمولته من الأجراس

كيف لميَّت ألا يتَّخذ بين جلسائه

هيئةً جبلٍ منفي في جزيرة

ستجيئه عسافير

من أغصانٍ في جرح

وبمعاولٍ كانت، لسنين،

ذات سطوبة في المستنقعات

تكسر أحجاره وعظامه

في البرد أغفى الأصدقاء

ويدا الميَّت موضوعتان

على قوس قُزح

انداح، بأناةٍ، من كأسه

لكن، كيف لميَّت

ألا يضجرَ بين الأحياء

والقرقعةُ على أشدها في نوم جلسائه

والمساءً قد ظهرت حَدَبَتَهُ  
وثُمَّ أطفالُ أطلّوا من بابِ مُوارَبِ  
ثم فرّوا خائفين

كانوا قد استيقظوا ثم ناموا  
ثم استيقظوا، وأخيراً قرروا أنّهم  
استمتعوا برفقته

كما لن يتسنّى لأحد أن يفعل  
وأنه أن الأوان ليتخلّصوا منه  
تحت جناح الظلام

أيدفونهُ، إذًا، في حديقة،  
أيرمونه في البحر؟  
لا، بل يُمدّدونه أمام بابِ  
مستودع الأموات  
فالبحت عنه، لا شك، جارٍ  
هذا ما اقترح أكبرهم  
الذي كان قد هيا له شاهدة قبر

سيتركها تحت رأسه

إن مرّ أحدٌ بقبره، سيقراً على تلك الشاهدة:

- هنا ينام نومته الأبدية

البحارُ الذي قضى ليلته الثانية كميت

ساهرًا، يتملى بأشكال سباحات مشيقات

من الطابق الرابع للملهاة

الذي كان، أيضا، شاعراً

وكتبَ أبياته الأخيرة

في مدح إبرة بقيت، بإخلاص،

ترفو ثيابه إلى أن ابيضت

عينها

الذي غطس في أعماق بحار

ظهر في أحلام سفن

شارك في تشييد مدن

من مرجان واشتغل

بمهنٍ أخرى

الذي، في طفولته،

أَنْقَذَ أَرَاغِنَ  
كَانَتْ، مِنْ فَرَطٍ كَأَيْتِهَا، قَدْ ارْتَمَتْ  
فِي الْآبَارِ  
الَّذِي لَمْ يَحْضُرْ قَطُّ  
إِعْدَامَ شَمْعَةٍ، وَجَابَ قُرَى بَعِيدَةٍ  
عَلَى صَهْوَةٍ حِصَانٍ مِنْ  
اللُّوْبِيَاءِ، ثُمَّ مَاتَ  
غَرِيْقًا، بَعْدَ أَنْ صَارَ الرِّبُو  
زَمَنًا، وَفِي آخِرِ  
أَيَّامِهِ، طَالَ قَذَالُهُ، لَعُكُوفِهِ  
زَمَنًا عَلَى صُنْعِ سُرُوجٍ  
مِنْ ثُلُوجٍ، وَأَصْبَحَتْ لَهُ غُنَّةٌ  
مِنْ يَنْفِثُ الْكَلِمَاتِ  
عَبْرَ أَنْفِهِ الرَّجَاجِيِّ، وَشَفْتَانِ تَشْتَغِلَانِ  
بِالْكَهْرِبَاءِ

- 6 -

قصائد من مجموعة

عُيونُ طالما سافرتُ

## بَحْرُ أَسْوَدَ

قَارِبُ النَّوْمِ يَمْخُرُ بِي عُبَابَ بَحْرِ أَسْوَدَ يُبْعِدُنِي  
عَنْ غُرْفَتِي فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّنُوءِيَّةِ  
الْمَوْجُ الْعَاتِي يَتَقَاذِفُهُ  
سَيُوفُ الْبَرْقِ، أَيْضاً، تَهْوِي  
فِي الْأَعَالِي، بِلَا رَحْمَةٍ  
وَخَوْفِي يَتَرَكِّزُ فِي حَاجِبِي!  
لَكِنْ، فَوْقَ رَأْسِي، أَنْصَافُ الطُّيُورِ  
الَّتِي بَقِيَتْ حَيَّةً بِمُعْجَزَةٍ  
تَضَعُ رُضْعاً فِي مَهْوَدِ  
وَصَرَخَاتِهِمْ فِي صِنَادِيقِ الْبَرْدِ  
وَتَعِدُّنِي بِحَيَاةٍ جَدِيدَةٍ  
حَالَمَا أُسْتَيْقِظُ  
مِنْ هَذَا الْحُلْمِ الْعَنِيفِ!

## نُزِلَ قِرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ

نُزِلَ قِرْمِيداً مِنَ الْعَرَبَةِ فِيمَا  
عَلَى كَوْمَةِ الرَّمْلِ الْقَرِيبَةِ  
نَحْلَةً عَطُوفٌ تُرْجِي لَنَا نَصَائِحَ بِالْأَزِيزِ  
إِنْ نُطَبِّقُهَا تَتَقَوَّ عَضَلَاتُنَا بِالتَّأَكِيدِ  
فَنَحْنُ نَرِيدُ أَنْ نَبْنِي مَأْوِيَّ لِلْعَجُوزِ  
الَّتِي مَرَّتْ بِنَا مَتْرَحَةً فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي  
وَاخْتَفَتْ فِي حَقْلِ الْعَدَسِ  
مَرَّتْ بِنَا آهٍ مَزْرُورٌ...رَتْ  
مَرَّتْ بِنَا مَزْرُورٌ...رَتْ  
هَكَذَا غَنِينَا لَكَ يَا مَنْ تَرَنَّحْتَ فِي الشِّتَاءِ الْمَاضِي  
وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَاضِي، يَا مُقَوَّسَ الظَّهْرِ، يَا أَدْرُدُ  
لَقَدْ أَتْرَعْنَا جِيوبَكَ  
صُوراً وَأَسْنَانَ حَلِيبِ  
وَأَنْتِ يَا مُدْرِّسَةً كَانَ رَأْسُهَا  
يُؤَلِّمُهَا فِي الْأَصْبَاحِ خَاصَّةً وَاسْمُهَا



كان يبدأ بالجيم  
تَرَكَنا لِكَ ما تيسَّر من هَاهُآت  
وَنَمَشاً كَثِيراً  
كُلُّ نَمِشَةٍ لها مَفْعولٌ حَبَّةُ أُسْبِرِينَ  
كِرَامٌ نَحْنُ وَأَطْفَالٌ وَسَعْدَاءُ  
وَلَمْ نَعُدْ مَغْرُوسِينَ بَيْنَ نَبَاتَاتِ الحُرَيْقَةِ  
كَمَا كُنَّا عَلَيْهِ فِي وَاحِدٍ مِنْ أَوَائِلِ  
أَحْلَامِي  
نَمْدُحُكَ يَا مُتَرَنِّحَةً وَكَمْ وَدِدْنَا  
لَوْ دَغْدَغْنَا إِبْطَكَ الأَيْمَنَ  
فَقَدْ عَرَفْنَا أَنَّكَ جَدُّنَا بَعْدَ أَنْ سَمِعْنَاكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ  
تُعَلِّمِينَ رُضْعاً كَيْفَ يَصْطَادُونَ شُهْباً بِالشَّبَّابِ  
وَقِيلَ إِنَّكَ ذَاتَ سَهْرَةٍ كُنْتَ تُرَبِّتِينَ  
عَلَى حَدَبَةِ الرَّاقِصَةِ  
فِيمَا كُنَّا نَنْفُخُ فِي الهَرْمُونِيكَاتِ  
نَنْفُخُ وَنَنْفُخُ  
نَنْفُخُ فِيهَا لِتَبْقَى مُعَزَّزَةً وَلَا تَضْدَأُ  
فَيُلْقَى بِهَا فِي غِيَاهِبِ السَّجُونِ

ننْفِخُ وَنُغَنِّي: مَرَّتْ بِنَا آهَ مَرْزُورٍ...رَثَ

مَرَّتْ بِنَا مَرْزُورٍ...رَثَ

وَهَكَذَا إِلَى أَنْ نَنْتَهِيَ مِنَ الْبِنَاءِ وَوَقْتَهَا

سُنُقِيمُ حَفْلًا

يَحْضُرُهُ الْبَاعَةُ الْمُتَجَوِّلُونَ وَالْمَسَاكِينُ

وَرَأَقِصَةُ حَدْبَاءَ

وَابْنُ السَّبِيلِ وَالْمُدْرَسَةُ بِضِدَاعِهَا

النَّصْفِي

وَكَذَلِكَ الْوَجُودُ وَالْعَدَمُ

وَالتَّلْمِيذَاتُ اللَّطِيفَاتُ اللَّوَاتِي فَتَحْنَ قُلُوبَهُنَّ

لِلسَّيَّارَاتِ الصَّغِيرَةِ الْحَزِينَةِ

الَّتِي وُلِدَتْ

بِأَعْجَلَاتٍ

## أنا الآن

أنا الآن في قرية جدّي  
أقتعد كرسيّاً صغيراً تحت حائط الجامع القديم الذي  
يتدلّى حواليه صبار كثير  
وثمة كلاب تقضي قيلولتها في ظلّ كومة تبن  
فيما تتحدث جماعة المقامرين تحت شجرة  
خلف الجامع  
بأصواتٍ خافتة ومتوتّرة  
عن عبد السلام بائع الكيف  
وكيف اعتقله الدّرك في الصّباح  
وكيف كانت الومضات تنثال من شيب رأسه  
قويّةً  
وتتناثر في الجوّ متأجّجةً  
أترى كان ذلك من خوفٍ شديد  
أم من حقدٍ عنيف  
أمّا أنا فكنْتُ أيضاً قدّ قامرْتُ ذات صباح

بحصانٍ صغير  
وساعتها كانت أنغامٌ جازٍ تتنامى  
في أذني اليمنى  
وفي اليسرى كان يُسمعُ حدّادون  
وهم ينهالون بمطارقهم على  
حدّواتٍ وخسرتُ حصاني  
الصّغير

وها أنا تحت حائط هذا الجامع القديم  
أتابع قراءة رواية  
روايةٍ رهيبةٍ عجيبٍ أمرها  
ياه!  
ما أكثر قتلاها!

## قُبَيْلُ الْغُرُوبِ

قُبَيْلُ الْغُرُوبِ، نَفَضَتِ الْحُقُولَ  
عَنْ ظُهُورِهَا قُطْعَانَ الْمَوَاشِي، فَلَمْ تَذَرْ  
لَهَا مِنْ أَثَرٍ  
هَكَذَا، لَمْ يَبْقَ فِي جَنْبَاتِهَا الذَّهَبِيَّةِ الْأَعْشَابُ  
سِوَى بَعْضِ الثُّغَاءِ الْخَفِيفِ  
الرُّعَاةُ عَادُوا حَزَانِي  
وَأَرَادُوا الْإِخْتِفَاءَ عَنِ الْأَنْظَارِ، فَذَلَّفُوا إِلَى الزَّرَائِبِ  
وَحَدَّةَ الرَّاعِي الْأَحْمَقِ بَقِيٍّ وَاقْفَاءَ وَسْطِ الْقَرْيَةِ  
مُتَهَلِّلاً، يَعْزِفُ لِلرَّيْحِ  
مُتَرْجِّباً  
أَنْ تَجْلِبَ بِنَاتِهَا شَبِيهَاتِ الدَّابَّةِ  
حَتَّى يَرْتَعِبَ مِنْهُنَّ الْأَطْفَالَ الْمُتَحَلِّقُونَ مِنْ حَوْلِهِ  
فِيضْحَكَ  
مِنْ قَفَرَاتِهِمْ وَصِيَا حِهِمْ  
وَمِنْ رَفَعِهِمْ لِعَقَائِرِهِمْ بِنْدَاءِ  
أُمَّهَاتِهِمْ

## المُعَلِّمَةُ تُزَيِّنُ بِذَلَّتِهَا

المُعَلِّمَةُ تُزَيِّنُ بِذَلَّتِهَا بِطَائِرٍ  
فِي حَجْرَةِ الدَّرْسِ تَقُولُ إِنَّ المَعَادِلَاتِ  
اِخْتَفَتْ فَجَاءَتْ مِنْ رَأْسِهَا حِينَ كَانَتْ تَسْبِجُ  
فِي البَحْرِ  
تَلْمِيزَةً قَالَتْ: رَبِّمَا أَكَلْتَهَا الأَسْمَاكُ  
فَقَلْنَا جَمِيعًا: رَبِّمَا، رَبِّمَا  
بِمُشْطٍ طَوِيلٍ حَمَلْتُهُ إِلَيْهَا الرِّيحُ  
تَفَرَّقُ المَعَلِّمَةُ شَعْرَهَا مِنَ الوَسْطِ  
لَكِنَّ مِنَ يَصْفَقُ مِنَّا أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ  
سَيُحْكَمُ عَلَيْهِ بِالطَّوَافِ سَبْعَ مَرَّاتٍ  
حَوْلَ المَجْنُونِ النَّائِمِ  
قُرْبَ مَحْطَّةِ البَنْزِينَ

## غريبٌ أمرٌ هذا الحقل...

غريبٌ أمرٌ هذا الحقل  
إنّه متجهّمٌ على الدّوام  
وهذا النّاي  
الذي ليس سوى بلعومٍ مديد  
وهذي البئر التي حفرناها  
أيامَ المُرَاهقة  
وها قد وُلِدَتْ قُمصانا ووزّعناها  
على حاملي الدّلاء الهائمين  
غريبٌ أمرٌ هذي المداخن  
المهجورة على السّطوح  
حين ننظر إليها بعيوننا التي طالما  
سافرت  
رفقة لقالق  
الظّفولة

## قَدَمٌ مَنَسِيَّةٌ

كان عندي كتابٌ نادر: "كيف تُصبح برمائياً في خمسة أيام". أبي أحرقه لأنّه، حسبما قال، لم يكن يحبّ السلاحف وأشباهها.

إثرها، غادرت البيت مُغضباً، وتخفّيت شهوراً في تنهيدة امرأة.

ثمّ نفختُ في صبيحة فصيرتها بالوناً لعبتُ به زمناً وعثرتُ على أقدام طُحلب في التاريخ تحت قدمٍ قديمة جدّاً ومنسيّة في حقل، فتركها تَركل ذلك البالون وتُنجز المراوغات.

قلتُ في نفسي لعلّها قدمُ أبينا آدم التي كان ركل بها تفاحة الجنة ليصيرها بالوناً وهي حقّاً تستحقّ أن تكون قدم لاعب كرة قدم مُحترف يُهاجم ويُسجّل الإصابات في الجنة.

ثمّ عدتُ إلى البيت. وفي اليوم نفسه أصلحتُ ذات البين مع العائلة. أدهشني، فحسب، أنّ القِطّ لم يبقَ منه غيرُ شبحه. وفي الفجر المُوالي، كنتُ في وسط المدينة مع الذين يقذفون أحجاراً صوب حارس السّاحة التي خصّصتها الحكومة لانتحار المجانين.

هذه المغامرات، لعلمكم، حُفظتُ في أرشيف الرّيح، هنالك خلف جبال الهملايا.



## حانة

حانة تُطلّ على بركة صغيرة، قُرْبَهَا  
شجرة تُحسن حماية الظل  
الذي يصل راكضاً من جهة البحر  
يُطارده خُفاً أبيه الغاضب  
حانة، يحدثُ أن أُطلّ من نافذتها على الليل  
وهو يمضي نحو الشاطئ  
مُردداً أغنية بحار  
حانة، يحدثُ أن أُطلّ من نافذتها والظلام يهبط  
فأرى العصفور الذي كان يلعب  
الذي كان يجذبُ تلةً من ذيلها  
يُسدلُ ستائر الحقل  
ويأمر الأعشاب بالنوم  
إنها حانة القرصان، البعيدة  
عن صخب المدينة  
حيث، هانئاً  
يشيخُ النبيذ  
في مسامّي!

## خرفان الليل

جوّ سبتمبر الجميل يتشربُ الضوضاء القادمة من وسط المدينة. من نافذة بيتي، تبدو لي سفينةٌ تُبحر. إنّ لها شكّل قوقعةٍ كبيرة. والهضبة القريبة، كأنّها أضحت شفافة، فهي لا تحجبُ عني البحر. لقد اقتعدَ سطحها العالي الشّخص طويلاً الشّعْر نفسه، وهاهو يقوم، كالمعتاد، بحركات توحى بأنّه يقطف غيماتٍ ثمّ يعصرها وبعدها يُطلقها لتعود إلى الفضاء مثلما حمام. حين التقيته ذات ليلة، قبل سنة، فوق صخرة تشرف على البحر، قال لي إنّهُ يُسمّي نفسه سيزيف الجديد. كانت الأمواج لحظتها خرفاناً مُلتهبة المزاج، ما تنفكّ تهرب، ثمّ تعود، ثمّ تهرب من جديد. وكان كلّ منّا قد جاء إلى ذلك المكان، بقينة نبیذه وكأسه، ليشرّب ويُشهد البحرَ على انتشائه... وتحادثنا، فاكتشفنا أنّنا، في بدايات الشّباب، درسنا في نفس الثّانويّة، خلال نفس السّنوات، وفي وقت ما، أحببنا نفس الفتاة.

كُلُّ تلك المُصادفات، والخرفان المائيّة لا تني تركّض وتركّض... تُعاوّاها يتشرّبهُ جوّ سبتمبر الجميل.

## غرفة ضيقة

وَقُعُ حِذَائِي عَلَى الرَّصِيفِ  
يَنْفِذُ إِلَى أذُنِّي، عَبْرَ نَافِذَةِ غِرْفَتِي  
إِنَّهُ الْحِذَاءُ الْهَارِبُ مِنَ الْخِدْمَةِ  
يُتَابِعُ سَيْرَهُ فِي الْخَارِجِ  
وَقَدَمَايَ تَسْتَغْرِبَانِ  
هَذَا الْعَقُوقُ  
وَتَمَّةٌ أُغْنِيَةٌ تَصْعَدُ نَحْوِي الْأَدْرَاجِ  
قَادِمَةٌ مِنَ الشَّارِعِ نَفْسَهُ، ذِي الْبَرْدِ  
الْجَرِيحِ  
إِنَّهَا لِلْمَغْنِيِّ الْأَعْمَى، الَّذِي  
يَبِيْتُ فِي الْعِرَاءِ، وَعَيْنَاهُ  
هُمَا صَنْجَاهُ  
أَمَا أَنَا فِرَاضٍ بِالْبَقَاءِ فِي هَذِهِ الْغُرْفَةِ الضَّيِّقَةِ  
لَكِنْ، مَتَى ضَجْرَتْ حَقًّا  
أُرْكُضُ فِيهَا  
فَتَتَحَوَّلُ إِلَى بَلَدٍ كَبِيرٍ

فيه قتلى يصنعون البارود  
وكتب كثيرة، وكنوز مخفية  
في رئات العسافير  
بلد كبير ودائري، حيث الحزن  
يزال بالمماحي  
وحيث، كثيرا ما يكون الله  
هو التّسيم

## بِذِرَاعِي اللَّتَيْنِ طَالَمَا...

بِذِرَاعِي - اللَّتَيْنِ طَالَمَا حَمَلْتَانِي

حَتَّى بَابِ بَيْتِنَا

حِينَ كُنْتُ أَتَعَبُ مِنْ إِحْصَاءِ الْكَهُوفِ

إِذْ إِنَّ هَذِهِ مِنْ هَوَايَاتِ شَبَابِي -

أَسَدَ الطَّرِيقِ فِي وَجْهِ فَتَى شَرِيرٍ

كَانَ يُقْبِلُ رَاكِضًا وَيُنْوِي

أَنْ يَكْسِرَ أَغْصَانَ شُجَيْرَةِ خُرَامِي

تَشْتَرِكُ فِي مَلِكِيَّتِهَا

سَبْعُ جِرَادَاتٍ

أُفْلِحُ فِي صَدِّهِ فَيَنْكُضُ عَلَيَّ عَقْبِيهِ وَيَخْتَفِي

وَأَسْمَعُ هَمَّهَاتٍ تَتَنَامَى إِلَى أُذُنِي

مَتَسَارِعَةً

وَتَنِمُّ عَنْ قَلْقٍ أَكِيدُ:

إِنَّهُنَّ الْجِرَادَاتُ السَّبْعُ، عَابَسَاتٍ

بالتأكيد، يُحلّـن واقعة الهجوم تلك  
من كافّة  
أوجهها

## كُنْتُ لِلتَّوَّ قَدْ وَصَلْتُ

كُنْتُ لِلتَّوَّ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى تِلْكَ الْمَدِينَةِ  
الَّتِي لَمْ أَزُرْهَا مِنْذُ صَيْفٍ قَدِيمٍ  
وَكَانَ جِرَّاحُونَ عَلَى شَاطِئِهَا  
يُخْرِجُونَ مِنْ جُمُجْمَةٍ غَرِيقٍ جِيءَ بِهِ مِنْ عُمُقِ الْيَمِّ  
طَحَالِبَ وَقَوَاقِعَ  
وَيُجَرِّدُ مَا يُعِيدُونَهَا إِلَى الْبَحْرِ  
يَقِفُ ذَلِكَ الْغَرِيقُ وَيُكْمَلُ إِغْلَاقَ جُمُجْمَتِهِ  
بِيَدَيْهِ  
وَيُخَيِّي الْخُضُورَ بِإِشَارَةٍ  
بَعْدَهَا يَأْتِي مُمَرِّضُونَ بَغْرِيقٍ جَدِيدٍ وَيُمَدِّدُونَهُ  
عَلَى سَرِيرِ الْجِرَاحَةِ  
فِيمَا يَكُونُ سَابِقُهُ قَدْ رَكِبَ  
دَرَّاجَتَهُ النَّارِيَّةَ وَمَضَى نَحْوَ بَيْتِهِ  
حَيًّا وَلَكِنْ بِلَا لَحْمٍ يَكْسُو عِظَامَهُ،  
بِلَا لَحْمٍ وَلَكِنْ بِرُوحٍ مَرِحَةٍ...  
أَصْدِقَاؤُهُ سِيحْتَفِلُونَ بِعُودَتِهِ هَذَا الْمَسَاءَ

وسيلا حظون أنّ له في الرّقص

هزّة كتفٍ

لا تُضاهي



## وَأَنْتِ بِلِبَاسِ الْبَحْرِ

ذات صباحٍ، وأنا بعدُ طالبٌ وفي الثامنة عشرة  
كنتُ في مقهى على الشاطئ  
وكان ثمة سبّاحون يدخلون إلى المياه متقافزين  
شاعرين، ولا شكّ، بالرّعدة  
وكنتُ أقرأ أخباراً في صحيفة  
لكنّ سرعانَ ما استأثرتُ بانتباهي تُنورةٌ قادمة  
فارغةٌ من صاحبها  
مُرتفعةٌ عن الأرض وأطرافها تهتزُّ إذ  
يعبثُ بها النسيم  
كانت حركات التّنورة أثناء قُدومها متهاديةً  
من خلف تلةٍ صغيرة على الشاطئ  
أليفةٌ لعيني  
مشدوهاً نهضتُ

ومضيتُ باتجاهِ التّلة:  
خلفها، كانتِ الابتسامةُ العريضة  
على وجهكِ وأنتِ بلباسِ  
البحرِ، سلّوى  
لَمْ نكن، قبل تلكِ اللحظة، قد تبادلنا سوى نظراتٍ  
في ردهةِ الكليّة  
وأخرياتِ ببابِ صيدليّة  
وقلتِ: تنوّرتي  
أرسلتها لتأتي بكِ أيّها الخجول  
وها هي الآن عائدةٌ  
نحوي!

## بسبب أوراق ميّنة

كان ثمة خفقُ أجنحة  
يتناهى إليّ من حديقة تتمدّد فيها فتاة  
على مصطبة  
الفتاة كانت رفيقةً لي في قسم ما  
بالابتدائيّ  
وفي تلك الأيام البعيدة، كانت قد أُصيّبت  
بالنّحول بسبب أوراق ميّنة  
سقطت من شجرة  
على ركبتيها  
ثمّ التقيتُها بعد ذلك بزمن  
في محطة قطار  
وكانت تدخن كثيرا  
قالت يومها إنّها في طور التّحوّل  
إلى سيجارة ضخمة

سيجارة ذات فم وعينين  
ذات أذنين ونهدين  
وهي الآن على المصطبة  
تبدو مديدةً وملفوفةً بالبياض كأنّها فعلاً  
سيجارة ضخمة  
فيما يتصاعد من ذاكرتها  
دخان أبيض ورماديّ  
ومع هذا، فلا داعي لأن نقلق  
إنّها لا تزال من لحم ودم  
على شفتيها ابتسامة  
وتنظر إلى عصفور فوق سلك كهربائيّ  
بعيد

## خُفَاء

لَقَدْ أُعْلِنْتُ عَلَيْنَا حَرْبٌ شِعْوَاء  
وَلَسْنَا الطَّرْفَ القَوِيَّ فِيهَا!  
وَفِي شِوَارِعِ مَدِينَتِنَا رُئِيَتْ تَلْمِيزَاتٍ صَغِيرَاتٍ  
يَتَظَاهَرْنَ بِالْمَرْحِ وَصَرَخَاتُهُنَّ  
تَحْتَ رَمُوشِهِنَّ  
وَالْمَغْنَى الَّذِي كَانَ قَدْ عَوَّدَنَا  
عَلَى مَرَّحِهِ وَكُنُودَاتِهِ  
انْكَمَشَ فِي زَاوِيَةِ بَرْقَاقٍ مَهْجُورٍ  
حَيْثُ بَدَأَ يَتَتَبَعُ هَلُوسَاتِ عِظَامِهِ  
كَمَا لَوْ كَانَتْ مَشَاهِدَ  
فِي شَرِيْطِ سِينِمَائِيٍّ!..  
لَكِنْ جَمِيلٌ أَنْ يَكُونَ قَدْ جَاءَ لِنَجْدَتِنَا  
هَذَا الفِيلِقُ مِنَ العَمِيَانِ  
الَّذِينَ يَدْخَنُونَ وَيَنْفَثُونَ الدَّخَانَ  
مِنْ عِيُونِهِمْ  
وَهَذِهِ البَرَكَةُ الَّتِي يُقَالُ إِنَّهَا  
سَلِيلَةُ جَبَلِ جَلِيدٍ مَهِيْبٍ  
جَمِيلٌ أَنْ تَكُونَ قَدْ وَصَلَتْ كُلُّ هَذِي الأَجْرَاسِ

وهذي السمكة التي هي كُبرى  
وزيرات البحر  
هذه العجوز التي تظهر عادةً في نهاية كلّ خريف  
لتكنس  
الغابات  
وهؤلاء الأطفال الشجعان  
الذين أنقذوا عصافير في يدي  
فلكم نحن محظوظون  
بحلفاء  
من هذا القبيل!

## أسلاف

في هذا البيت، في زمن قديم، تطاير شرار كثير  
من جسد جدّ، بعد أن رطم رأسه  
بسقف قبّعه

سكان هذا البيت، من أجداد أكثر قدماً  
كانوا شديدي التدين  
واتخذوا إلهاً البركان المقدس الذي  
أصبح في مكانه الآن  
قرن كبير

أنا، خلال هذه الليلة، في هذا البيت نفسه  
أستمر في كتابة تاريخ السلالة  
فيدلّف إلى غرفتي ناطقون باسمها من كل  
العصور

يتجمعون في جانب من الغرفة، فتميل تحت ثقلهم  
يركضون إلى الجانب الآخر، فيشعرون  
أنه يميّد بهم  
وهكذا، أنا أؤرّخ لهم  
وهم يمرّجحونني!

## عَيْن

قَرْيَةٌ جَدَّتِي: بِيُوتُهَا تَدُورُ حَوْلَ  
صِرْحَةٍ، تَصَّاعِدُ عَلَى الدَّوَامِ مِنَ البِئْرِ  
الَّتِي فِي وَسْطِهَا. لَمْ يَحْدِثْ  
أَنْ رَأَيْتُ تِلْكَ القَرْيَةَ، لَكِنِّي  
كُنْتُ مَتَشَوِّقًا لِزِيَارَتِهَا، بَعْدَ أَنْ حَكَّتْ لِي الجِدَّةُ  
عَنْ طِفُولَتِهَا فِي أَرْجَائِهَا، وَكَيْفَ أَنَّ  
دُورَانَ بِيُوتِهَا كَانَ يَجْعَلُ الطَّوَاقِي الَّتِي  
يَعْتَمِرُهَا أَهْلِهَا  
تَضِيءُ لَهُمْ سُبُلَهُمْ فِي اللَّيَالِي الحَالِكَةِ، وَيُمْكِنُ  
دَجَاجَاتِهَا  
مَنْ أَنْ تُفَوِّقَ بِالعَدِيدِ  
مِنَ اللُّغَاتِ الأَجْنِبِيَّةِ.  
وَفِي لَيْلَةٍ بَعِيدَةٍ، كُنْتُ قَدْ فَكَّرْتُ طَوِيلًا  
فِي تِلْكَ العَجَائِبِ، ثُمَّ أَطَلَلْتُ مِنْ نَافِذَةٍ، فَرَأَيْتُ  
دَمْعَةً جَمِيلَةً  
فِي عَيْنِ أَلَيْفَةٍ.  
تِلْكَ كَانَتْ عَيْنُ الجِدَّةِ. لَقَدْ أُغْمِضَتْ  
مِنذُ سَنَوَاتٍ. لَكِنِّي، أَكِيدُ أَنَّهَا الآنَ  
تَجُوشُ فِي غَابَاتِ



وفي قُرَى عَجِيَّات  
وتتبع مُغَامِرَات  
تقوم بها جِنِّيَاتُ فِي حَكَايَات

## لا يُخيفُنِي إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ

زُرْقَةُ هَذَا النَّجْمِ - وَقَدْ كَانَ

صَدِيقَ طِفْلَوْتِي

وَلطالماً حرص على إضاءةِ طريقي

أثناءَ عودتي ليلاً من السَّيْما -

هِيَ بِالتَّأْكِيدِ مَرْضِيَّةٌ

لقد ساءت حالته كثيراً

هذا ما أكَّده لي

طبيبٌ مُختَصٌّ في الجهازِ التَّنْفُسيِّ

وعالمٌ فَلَكَ

وما همست لي به امرأةٌ في بُسْتانِ

تبيّنَ لاحقاً للشُّرْطةِ السَّرِّيَّةِ أَنَّها

إمّا زرقاءُ اليَمَامَةِ شخصياً

أو من سُلالاتِها...

الشُّرْطةُ السَّرِّيَّةُ!

يحدثُ أن يَحْدِثَني أفرادٌ منها

فَأَخَذَهُمْ

أَنَا لَا آبَهُ بِهِمْ

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، لَا يُخَيِّفُنِي إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ:

أَنْ يَهْوِيَ النَّجْمُ صَدِيقِي مِنْذِ الطُّفُولَةِ

وَاهِنَ الْقَوَى عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ الْحَزِينَةِ

فِيمَا أَبْقَى أَنَا وَاقِفًا هُنَا

غَيْرِ قَادِرٍ عَلَى أَنْ أَفْعَلَ مِنْ أَجَلِهِ

شَيْئًا

## حميمية

عن خَدِّ شَجَرَتِي اليافعة  
التي تحرس باب حديقتي  
أنفُضْ غبارَ النُّجوم  
فيما أزهارٌ تتسَلَّى بعزفٍ خفيف  
على آلةٍ ما، أخذسُ وُجودَهَا  
ولا أراها  
وأنتِ تستحسنين عزفها  
لقد مرّت علينا ساعاتٌ منذ أن حلَّ الليل  
وفجأة: هذا الشفقُ الذي  
ينداحُ من قنّينتنا الأخيرة الواقعة  
على الطاولة، فارغةً منذ ساعات!  
شفقٌ ينداحُ منها وينتشر  
ويلفّ قامةَ السّاهرةِ جنّبي  
المضمّخة بضحكتها  
في هذه الليلة النّاشفة  
إلا من عرقٍ  
نخرها!

## يا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ

تُرْعِجُنِي قَصَّةُ شَعْرِكَ يَا نَجْمَةَ

إِنَّ لَهَا رَائِحَةَ نَعْجَةٍ مُبَلَّلَةٍ

لَا أَحْبَبُّكَ يَا قَمَرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ

فَأَنْتِ لَا تَتَفَوَّهُ إِلَّا

بِكَلِمَاتٍ نَابِيَةٍ

وَمِنْ حُسْنِ الْحِطِّ أَنْ الَّذِينَ يَحْشِمُونَ بِشِدَّةٍ

هُمْ إِمَّا صَمٌّ

أَوْ يَغُطُّونَ فِي نَوْمِهِمْ

أَمَّا أَنْتِ يَا مُقَشَّرَةَ الدَّهَانِ

يَا ذَاتَ الْجِدْرَانِ الْمُصَابَةِ بِالْهَذْيَانِ الرَّعَاشِيِّ

يَا عَجُوزاً مُعَلَّقَةً

تُتَلَجُّ مِنْ أَحْمَصِ قَدَمَيْهَا

يَا غُرْفَتِي

فَجَوْفُكَ بَحْرٌ بَارِدٌ

مَاؤُهُ مِنْ دُخَانِ سَجَائِرِي وَنِظْرَاتِي

تَعْجِبِي

وَأَنَا، مَتَى اسْتَطَعْتُ أَنْ أُغَافِلَ

بِرَدِّكَ، سَأَهْجُرُكَ وَأَمْضِي

مَنْزِلَةً عَلَى ابْتِسَامَاتِ حَمَائِمِ صَدِيقَةٍ

حَتَّى هُونُولُو

ففي هونولوووولو  
القَدَاحَاتُ الْجَمِيلَات  
تُبَادِرُ لِلرَّقْصِ لِلوَافِدِ الْجَدِيدِ  
وَالْمَدَافِي الْكَهْرِبَائِيَّةِ تَعِيشُ صَامِدَةً  
وَتَمُوتُ وَاقِفَةً  
وَإِذَا شَعَرْتَ بِالْغُرْبَةِ فِي هُونُولُوووولو  
يَمَكُنُكَ، بِحَرَكَةٍ مِنْ رَأْسِكَ  
أَنْ تُحَيِّيَ نَفْسَكَ، فَتَشْعَرَ بِدَفِيءِ  
إِنْسَانِي عَظِيمٍ!  
حَقًّا، قَدْ يَحْدُثُ فِي هُونُولُوووولو  
أَنْ أُبَيِّتَ لَيْلَةً مَا فِي فَنْدُقِ نَاقِصِ  
التَّدْفِئَةِ  
فَتُطِلُّ عَلَيَّ الْقُشْعْرِيرَةَ بَعِينِيهَا اللَّمَّاعَتَيْنِ  
مِنَ النَّافِذَةِ الَّتِي أَكُونُ قَدْ نَسِيتُ  
إِغْلَاقَهَا جَيِّدًا  
لَكِنْ سَرَّعَانَ مَا سَتَلْحَقُنَّ بِي  
يَا حَلِيفَاتِي الْحَمَائِمِ  
وَبِضْرِبَاتٍ مِنْ مَنَاقِيرِكُنَّ ذَوَاتِ  
الْبَاسِ وَالْبَسْمَاتِ  
تُكَبِّدُنَ عَصَابَاتِ الْبَرْدِ اللَّعِينِ  
أَفْدَحِ الْخَسَائِرَ!

## يَغْمِسُونَ رَأْسَ الْمَهْرَجِ

نعم، تمّ الأمر كما فكَّرتِ فيه  
فقد ذهبتُ إلى المصبنة  
وجلبتُ ثيابنا

وفي طريق العودة، رأيتهم يغمسون رأس المهرج  
في رغوة الضحك التي كانوا  
قد ملؤوا منها جردلاً كبيراً  
وها أنا هنا، أهديك - فيما أنت تهيئين  
الغداء-

البارثيون وقوس آخيل ومبرهنة أقليدس  
وجبل البارناس ومخطوطة لإسخيلوس  
حتى تكون لك آثار خُطى  
على تراب حدائق  
اليونان القديمة

- أنا، حديقتي قديمي وأظفارها  
أزهارها-

وبعد هذا سأردفك خلفي على  
درّاجتنا المُطهّمة

ونمضي نحو بيتنا القديم الذي كنّا  
قد سكناهُ زمناً ثمّ تركناه

وكنْتُ، كلِّما سَكِرْتُ تحت سَقْفه،  
تُشعشع عظامي من تحت الجلد واللحم، بوميض  
منتظم أصفر وأخضر وأحمر  
وذاك كان يُضحِكنا كثيراً إذ يُذَكِّرنا  
بلعبة البلياردو الكهربائي!  
الآن، بعد أن ندخل مُجدِّداً إلى ذلك البيت  
فهو قد يُباغَتْ كما  
تقولين، لكنْ كوني  
متيقِّنةً من أننا سنشعر في عُرفه بنفس  
الإعجاب بِهَيْئَةِ النِّمَالِ التي  
خَلْفَ أحدِ جدرانِه  
كانت دائماً تتشكَّى من الأرق!  
بل إنَّه سيحتضن بحنوٍ حتَّى درَّاجَتنا  
ويُعامِلُها ككائنةٍ حلَّت فيها رُوحُ  
إلهةٍ قديمةٍ  
كائنةٍ جِسْمُها من معدنٍ  
ولِمَقْوَدِها  
بَرِيقُ!



## شمس صغيرة

يَتَطَلَّعُ إِلَى شَمْسٍ هَذَا الصَّبَاحِ  
إِنَّهَا صَغِيرَةٌ مَا تَزَالُ، يَقُولُ فِي نَفْسِهِ  
مِنَ الْخَطَا، وَلَا شَكَّ، أَنْ تَكُونَ قَدْ اعْتُمِدَتْ  
فِي هَذِهِ السَّنِّ الْمُبَكَّرَةِ  
شَمْسًا فَعَلِيَّةً.

إِنَّهُ يَرَاهَا الْآنَ مُجَرَّحَةَ الْخَدَّيْنِ  
مُعَفَّرَةَ الْجَبِينِ  
يَسْأَلُ: هَلْ عُدْتِ مُجَدِّدًا إِلَى شَقَاوَتِكَ  
وَتَجَرَّحِ خَدَاكَ فِي مُشَاخَنَاتِ  
وَتَدَخَّرِجِي عَلَى أَثْرِبَةٍ؟  
وَيَسْمَعُهَا تَقُولُ:

لَا، بَلْ طَارَدْتَنِي غُرْبَانٌ مَعْدِنِيَّةٌ  
وَحَاوَلَ أُسْرِي مَا سُورِيُونَ لَهُمْ وَجُوهٌ  
مِنْ حَجَرٍ

وَلَجَأْتُ إِلَى هَنُودِ حُمُرٍ  
يَضْحَبُونَ فِي حَانَاتٍ...  
يَتَابِعُ طَرِيقَهُ إِلَى الْمَقْهَى  
الَّذِي يَشْرَبُ فِيهِ، فِي الْعَادَةِ،  
قَهْوَتَهُ الصَّبَاحِيَّةَ

هو فرح، فقد سمع كلامَ  
الشمس-الظفلة،  
وبعد لحظات، ومن ألقِ عينيه  
سيرسم لها صورَ أطفال من سنّها  
لتلاعبهم  
حتى يحينَ أوانُ  
غروبها!

## أتهياً للإبحار

مشيتُ تحتَ صغيرِ غيمةٍ  
كانتُ تتلهى  
بتتبعِ شريطِ ذكرياتي  
والقرويةِ التي كانتُ عشيقتي  
ذاتِ يومٍ في بيدرٍ ما  
ظهرتُ بدورها خلفِ نافذةٍ بعيدةٍ  
باسمةً ومحاطةً بالعصافير  
باسمةً وتنقُرُ  
على طبليةِ أذنِ الريحِ الرّصينةِ  
يا عشيقتي يا عشيقتي  
كوني لي خيمةً  
على جبلِ الكهرباء  
بهذا رفعتُ عقيرتي وأنا، في غُرْفَةٍ  
نومي، أتهياً للإبحار  
في كأسِ غريبةِ

## كوميديا سوداء

هل تعتقدُ حقاً يا صديقي ميرو  
أَنَّكَ سبقَ أن كُنْتَ  
بَطَّةً بَرِّيَّةً في حَيَاةٍ سَابِقَةٍ؟  
هل فِعْلاً تُنْقَبُ في ذَاكَرَتِكَ بِنَ حَتَّى  
في مَسَامِكٍ لِتَجِدَ جَوَاباً  
عَنْ تَسَاؤُلِكَ هَذَا؟  
نُعمَ بِاللَّهِ عَلَيْكَ  
مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكَ هَذِهِ الْفِكْرَةُ أَصْلاً؟  
مِنْ كَوْنِكَ، حَسَبَمَا تَقُولُ، أَصْبَحْتَ تَرَى  
بِرْكَاً كَثِيرَةً فِي أَحْلَامِكَ  
وَتَسْمَعُ صَوْتَ الْبَطِّ فَيَنْتَابُكَ حِينٌ غَرِيبٌ  
وَتُثِيرُ انْتِبَاهَكَ أَيُّ رِيشَةٍ طَائِرَةٍ  
مَهْمَا كَانَتْ وَاهِيَةً؟  
لَكِنَّكَ، بِهَذِهِ الطَّرِيقَةَ، تُثِيرُ الْقَلْقَ  
فِي نَفْسِي يَا صَدِيقِي  
وَتَجْعَلُنِي دَائِمَ الشُّرُودِ

وَتَمَنِّعُ النَّوْمَ عَن جَفُونِي  
لَأَنِّي أَصْبَحْتُ، عِنْدَ كُلِّ غَفْوَةٍ،  
أُرَى بِنَادِقَ فِي الخَلْمِ  
وَدَخَانًا يَتَصَاعَدُ أَمَامِي  
وَكَلَّمَا بَدَأَ لِي مَوْقِدٌ  
إِلَّا وَاسْتِنَارَ اهْتِمَامِي  
وَكَلَّمَا لَمَحَتْ جَمْرَةٌ  
أَوْ كَوْمَةٌ أَخْشَابٍ تَشْتَعِلُ  
تَسْمَرْتُ عَلَيْهَا عَيْنَايَ...  
فَهَلْ يَا تُرَى كُنْتُ فِي حَيَاةِ آنِفَةٍ  
قَنَاصًا  
وَحَدَّثْتَ أَنْ قَنَصْتُكَ وَأَنْتَ بَطْلَةٌ  
وَحَدَّثْتَ أَنْ طَهَوْتُ مِنْكَ؟..  
أَهْ! إِنَّكَ تَجْعَلُنِي أَتَعَذَّبُ  
أَهْ! إِنِّي سَأُبْكِي...

## يَغْذُ السَّيرُ فِي المَرَاةِ

يا لَتَوَتَّرَ حَامِلِ المِظَلَّةِ الشَّاحِبِ القَادِمِ بِسُرْعَةٍ.  
إِنَّهُ يَحْتُ الخَطِي فِي اتِّجَاهِ رِجْلِ طَوِيلٍ وَمُحْتَقِنِ الوِجْنَتَيْنِ،  
وَاقِفِ أَمَامِ مَرَاةٍ، شَبِهَ نَائِمٍ، وَيُدْخِنُ.  
حَامِلُ المِظَلَّةِ يَزِيدُ مِنْ سُرْعَتِهِ وَيَتَذَكَّرُ المَرَاةَ  
الَّتِي كَانَتْ عَشيقَةً مُحْتَقِنِ الوِجْنَتَيْنِ:  
إِنَّهَا مَا شَا الجميلةَ الَّتِي غرقت في ذلك البلد البعيد  
وهي الآن قابضة ولا شك في قعر نهر الفولغا.  
ويدندن الرّجل الطويل المحتقن الوجنتين  
بقصيدة كان قد كتبها عن موت عشيقته الروسية.  
إنّه واقف أمام مرآة الحمام، في بيته بكازبلانكا  
يُدْخِنُ وَيَحْلِقُ ذَقْنَهُ، وَيَرْنُو  
إلى حامل المِظَلَّةِ الَّذِي يَغْذُ السَّيرُ نحوه في المَرَاةِ  
والَّذِي لَمْ يَكُنْ إِلَّا هُوَ نَفْسَهُ، قَادِمًا  
نحو نفسه  
من شتاءٍ روسيٍّ قديم!

## في هذه اللحظة بالضبط

في هذه اللحظة بالضبط، حسبُ أني متّ  
لكنّ روحي، التي، منذ دقائق،  
غادرت، حقّاً، جسدي  
لَمْ تلتحقُ بالسّماء، بل إنّها صعدتُ إلى قِمة نخلة  
أراها من نافذتي!  
انزلي، أيتها الرّوح القلقة،  
انزلي فوراً  
وعودي إلى حيثُ كنتِ  
هكذا تحدّثتُ إليها، ثمّ أضفتُ:  
هيا انزلي،  
كفاك عبثاً!

## أعزف على هزمونيكاً خيالية

غُيُومٌ دَاكِنَةٌ تَسْرِي فِي الْأَعَالِي مُتَجَهِّمَةً  
كَأَنَّمَا هِيَ بِدَوْرهَا مُتَعَبَةٌ وَضَجِرَةٌ  
هَذَا مَا قَلْتَهُ لِنَفْسِي وَأَنَا أَسِيرٌ فِي هَذَا الْإِتِّجَاهِ ثُمَّ  
فِي ذَلِكَ

إِنِّي حَائِرٌ، وَهَذَا يَجْعَلُنِي أَضْحَكُ وَأَعْرِفُ عَلَى  
هَزْمُونِيكَا خِيَالِيَّةٍ

حَقًّا كَانَتْ هُنَاكَ سَهْرَةٌ عَلَى شَاطِئِ الْمَدِينَةِ الْهَادِي  
لَكِنَّ ذَلِكَ كَانَ الْبَارِحَةَ  
وَحَقًّا كَانَ هُنَاكَ تَمَثَالٌ  
يُنْحَتُ فَلَا حِينَ وَأَبْقَارًا فِي قَرْيَةٍ  
لَكِنَّهَا قَرْيَةٌ تَنَائِي دَائِمًا فِي الْأَصْبَاحِ  
عَمَّنْ يَتَّجِهْ صَوْبَهَا

وَكَثِيرٌ مِنَ الْمَدْفُونِينَ فِيهَا مَاتُوا  
جَرَاءَ سَقُوطِهِمْ عَنِ السُّطُوحِ

لِذَا فَأَنَا أُحْرِكُ كَتْفِي السَّاخِنَةَ

أَغْذِي السَّيْرَ صَوْبَ الزَّهْرَةِ الَّتِي اكْتَسَبَتْ شُهْرَةً



لديّ بعد أن ترافقَ عِطْرُهَا وَقَلَّتِي  
في طُرُقٍ وفي العديد  
من محطّات القطارات  
سأجلس قليلاً قربك أيتها الزّهرة  
مثلما يجلس إنسان قرب قلبه  
وأستعيد أصباحاً كنتُ قضيتُها وأنا طفل  
على شاطئ المدينة هذا الذي أرى الآن جانباً منه  
هنالك خلف الأشجار  
آه! في تلك الأيام كانت الكلمة العليا  
في هذا الشاطئ  
لجرادة  
وقد انقلبت في السنّة الماضية  
حوريّة بحر!  
وفي انتظار الوصول إلى زهرتي، هذه نصيحةٌ منّي  
إليك أيتها العابرُ بقربي  
إليك أيتها العابرةُ جنبي  
لا يدلفن أحدٌ منكما إلى هذي الحديقة المتوحّشة  
التي هي الآن قبّالتي

إن شاء إلا يُكسِرَ له ضلع أو يلتَمَع دَمَّ

على جبينه

ففي جنباتها عِشْنَا زَمناً شقاوَةً طفولتنا

نتحارب بسيف من صُنعنا

وفي فترات الهدنة نَصْفِرُ مُقلِّدين موسيقى

بعض أفلام الويسترن ثم نبدأ

في تصويب أحجار إلى أيِّ منَّا

كان يقبلُ أن يعتلي شجرةً ويتقمَّص

شخصيَّةَ غُراب

كبرنا الآن طبعاً لكنَّ أحجارنا ما تزال

على نَرَقها

أما كلُّ ذاك الصَّغير المُنعم الذي كُنَّا نَصدح به

فلا أعرف في أيِّ من أصقاع الأرض

تلتقطه الآن آذان

ولا في أيِّ البلاد يُطفئ شموعاً

أو تحسبُه كلابٌ سائبة

موجَّهاً إليها

## له ذاكرةٌ حيّة

كان يَمْضي عبر شارع العظام  
تحت مطرٍ من ابتسامات الأشباح  
يُخفي جيّداً صرخته السريّة  
لا يحبّ الحياة كثيراً  
لكنّه لا يكرهها  
لقد وُلد ذات يوم اشتدّ فيه الحرُّ  
على المجانين  
وهو يعيش الآن قرب بركةٍ  
يسمعها، أحياناً، تحكي القصص  
لجراداتٍ من حَوْلها  
له ذاكرةٌ حيّة: رأى مرّة سيجارةً في  
فم عابر بقربه  
فتذكّر أنّها السيجارة نفسها التي  
سبق أن رآها في حلم  
يتذكّر أيضاً أنّ جدّته، قبل وفاتها  
أوصتهُ خيراً بعلبة النشوق

التي تعاني من الخرف  
وبالرياح الفقيرة  
والدجاجات الثلاث  
الناسكات

## وأصبحتُ سيّد السّاهرين

كنتُ صيادَ سمك

وكنتُ غنياً أو فلنقل

إنّه لم يكن ينقصني شيء

ثمّ ساءت أحوالي، بعد أن عشقتُ

حياةَ الليل

بغوانيتها بنبیذها بحُرُوبها

وأصبحتُ

سيّد السّاهرين

وحسبوني جنّنتُ حين بدأتُ أرى في منتصفاتِ

الليالي

ومعي شبّاكي التي صرّت ألقيا

إلى أعلى، لعلّي أصطادُ

ابتساماتِ نُجومٍ

أو همهماتِ غيومِ الليل

أو حتّى حصاناً مُجنّحاً لطيفاً

يَحْمِلُنِي عَلَى ظَهْرِهِ  
وَيَمْضِي بِي فِي رِحَالٍ عَجِيبَةٍ  
أَقْصُ وَقَائِعَهَا، فِي يَوْمٍ مَا، عَلَى أَحْفَادِي  
الْقَادِمِينَ!

- 7 -

قصائد مختارة

مما لم يُنشر بعدُ في مجموعة

## على قمة جبل

صعدتُ إلى قمة جبل  
ووجدتني أمام كوخ صغير مُتداع  
ذاك كان مسكنَ البرد  
وهو يأوي إليه متى يشاء  
منذ ما لا عدّ له من القرون  
في مرّة قادمة  
سأرسمُ لوحة وأعلّقها على بابه  
البردُ على علّاته يستحقُّ مني  
هديةً صغيرة  
وها أنا الآن في هذا العلوّ  
غير متوجّس من شيء  
رغم أنّ أسرابَ عصفير  
بدأت تُبرق  
وجلدَ هذه الساعة  
دبّ فيه التّمنل  
رغم أنّ الشّحوب طوّق الأشجار  
ونملاً حمراء كثيرة



امتنع لوئها  
وحين شعرتُ بوحشة حقيقيّة  
مرّ هيكل عظميّ وحيّاني  
أتذكّر صورته جيداً  
أيّامَ كان مكسوّاً باللحم  
فقد لعبنا معاً في نفس فريق  
كُرة القدم  
قال لي لا تُضع وقتك هنا  
ليس هنالك فرجة من أيّ نوع  
قالها وركل الفراغ بقوة  
وبالفعل فقد كان في الأيام الخوالي  
هدّافاً شهيراً  
يركل بقوة بالقدمين  
كما يُحسن ضرب الكرة برأسه الذي  
كان يختزن أيضاً عدداً  
من أغاني بوب مارلي

## قَبْلَ الْإِفْطَارِ

شَفْرَةُ الْحَلَاقَةِ تَحْلِمُ قَرَبَ لِحْيَتِي  
بِقَطْرَاتٍ مِنْ دَمِي  
نَمْلَةٌ تَسْقُطُ مِنْ مَكَانٍ مَجْهُولٍ  
عَلَى سَطْحِ رِغْوَةٍ مَعْجُونِ الْحَلَاقَةِ  
هِيَ فِي وَرْطَةٍ عَظِيمَةٍ لَكُنَّهَا تَحْلِمُ  
أَنَّ لَهَا سَاعِدَيْنِ قَوِيَّيْنِ وَأَنَّهَا  
تَجْذِبُ وَهِيَ عَلَى مَتْنِ قَارِبٍ  
وَإِذَا أَشْعَرَ أَنَّهَا تَوَدُّ لَوْ تَنَوَّحَ  
أُسَارِعَ إِلَى إِنْقَاذِهَا  
لَكُنِّي حِينَ أَزْمَعُ الْبَدَأَ فِي الْحَلَاقَةِ  
أَسْمَعُ زَمْجِرَاتٍ غَضَبٍ:  
إِنَّهُنَّ الْبَيْضَاتُ الثَّلَاثُ، مَنْفَعَلَاتُ،  
فَقَدْ تَرَكْتُهُنَّ، دُونَ أَنْ أَنْتَبِهَ  
فِي زَاوِيَةٍ مَعْرُضَةٍ  
لِتِيَارِ الْهَوَاءِ.

## يُسَمِّدُ الْحَقْلَ...

آثَرَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ أَنْ  
يُسَمِّدَ حَقْلَهُ بِالْكَلَامِ  
وَلَأَنَّ لَهُ لِسَاناً أَصْبَحَ لَا يَكْفَى عَنِ الثَّرَاةِ  
- مِنْذُ أَنْ فَتِنَتْهُ امْرَأَةٌ فِي السُّوقِ الْأَسْبُوعِيِّ -  
فَالْحَقْلُ سَيُخْصِبُ وَلَا شَكَّ  
وَالغَلَّةُ سَتَكُونُ عَظِيمَةً  
حَقًّا، هُوَ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى  
مِنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ سِوَى صَفِيِّ أَسْنَانِهَا  
وَبَيْنَهُمَا  
قِطْعَةٌ بِطِيخٍ مَدِيدَةٍ  
لَكِنْ سَوْفَ يُفْعِمُ الْفَرْحَ قَلْبَهُ بَعْدَ الْحِصَادِ  
وَسَيَكُونُ هُنَاكَ عَتَّالُونَ كَثُرُوا  
وَصَفَّقُوا أَبْوَابَ  
وَسَوْفَ تَرْتَفِعُ عَقَائِرُ بِالْغَنَاءِ  
وَتَتَنَحَّجُ قَنَادِيلُ  
وَتَتَسَاقَطُ ثُلُوجُ

على رؤوس نسوة حزينات  
كنّ قد أغدقن حبّهنّ الأموميّ  
على قطع سكرّ  
كانت لها حياة  
لكنّها لم تحترش  
وذابت في كؤوس

## كيف لي...؟

كيف لي أن أنهي قصة الأميرة ذات الهمة وولدها عبد الوهاب في ليلتي هاته التي يُضيئها فحسب بُوبوا عصفور؟

لن أبحث عن جواب ما دامت هذه الرّيح البطيئة لم تنته من مسح العرق عن حصاني المطاطي المركون قرب النّافذة. حقّاً، كانت لي ريشات هندیّ أحمر حول رأسي، لكنّها سقطت منّي ذات صباحٍ في حقل جدّي. حدث هذا منذ وقت. وكلّما فكّرتُ في العودة إلى ذلك الحقل لأجلب منه ريشاتي، يتعالى الصّفير في أذنيّ. جدّي كان معروفاً بشدّة صفيّره. بطلاً في ذلك الميدان كان. تسمع ناقته صفيّره من بعيد فتقبّل نحوه مسرعة راضية.

والعجيب أنّي، في العديد من المرّات، ما إن كنتُ أغيّ السّير في اتّجاه ذلك الحقل حتّى أعرج على أشجار أحسبها حزينةً فأودّ لو أواسيها ثمّ أمرّ بجانب كهف فيبدو لي متحفّاً للصّافرات، وكنتُ بالفعل أرى فيه صافرات من أقدم العصور وأخرى من أزمنة قريبة أو حتى من عصرنا!

ومرّة، كنت أمضي في اتّجاه الحقل الذي سقطت فيه ريشاتي فرأيتُ ما حسبته قبةً من حرير نازلةً أطرافها الملوّنة إلى مستوى أدنى من مستوى رأسي، فدلفتُ تحت

تلك القبة لكني بعد لحظات اكتشفت أنها في الحقيقة تنورة أسطوانية يتبدى بداخلها ردفان مكوران جميلان وفخدان صقيلتان تسران ناظري.. أتلبث قليلاً لأستريح بين تينك الساقين. (يجب الإقرار بأنني كنت طفلاً صغير حجم الجسد وقتها). وإذ تدفّنتي سخونة المكان بما يكفي، أخرج من تحت التنورة وأتطّلع إلى فوق، فأرى وجهاً أنثوياً جميلاً يبتسم لي.

ومرّة كنتُ سائراً صوب حقل جدّي لأستعيد ريشاتي لكنّ جاءني أحلامٌ من أعشاش وشرعتُ في الطّبطبة على كتفي. ومرّة التقيتُ أبي وأنا في طريقي إلى ذلك الحقل فقال لي: تُضيع وقتك في البحث عن ريشات. لو أنّك في غرفتك تُراجع دروسك، أو على الأقل تلعب مع أقرانك تحت الأشجار. هكذا عدتُ إلى البيت وفتحت قصة الأميرة ذات الهمّة وولدها عبد الوهاب على الصفحة التي كنتُ متوقّفاً عندها!

## في عربة

أسافر في عربةٍ عجلائُها بيضاء  
تسلك بنا طريقَ الشاطئ، وجارتي إذ تغفو  
تبدأ التّجاعيد في التّكاثر على وجهها.  
حجمُها في تناقص.  
أهي حالة شيخوخة مباغته؟  
تتصاعد موسيقى قرب النّافذة التي  
أطلّ منها على البحر.  
ترلّلا ترلّلا ترلّلا ترلّلا ترلّلا ترلّلا  
موسيقى فلامنكو: آه! كم كنتُ معجباً بلأو تيخادا  
لكنّي نسيتهُ زمناً ولم أتذكّرُها  
إلا في هذه اللحظة.  
جارتي اسمُها علياء وهي طبيبة أطفال.  
ذلك أنّنا تعارفنا قليلاً  
قبل أن تنام.  
قالتُ إنها تحبّ الأغاني الخفيفة  
وأن ترشّ ظلّها في الصّيف

بماء بارد  
وأن تُطلَّ على المطر  
من نافذة في قطار.



## فهرس

- هذا الكتاب ----- 3
- قصائد مختارة من "على كرج المياه العميقة" ----- 6
- قصائد مختارة من "محفوظاً بأرخبيلات..." ----- 28
- قصائد مختارة من "راية الهواء" ----- 56
- قصائد مختارة من "فراشة من هيدروجين" ----- 74
- قصائد مختارة من "رجل يتسم للعصافير" ----- 107
- قصائد مختارة من "عيون طالما سافرت" ----- 141
- قصائد ممّا لم يُنشر بعد في مجموعة ----- 190

-----

لتحميل مجموعات شعرية لمبارك وساط، انقر(ي) على الرّابط التالي:

[مجموعات شعرية- مبارك وساط](#)

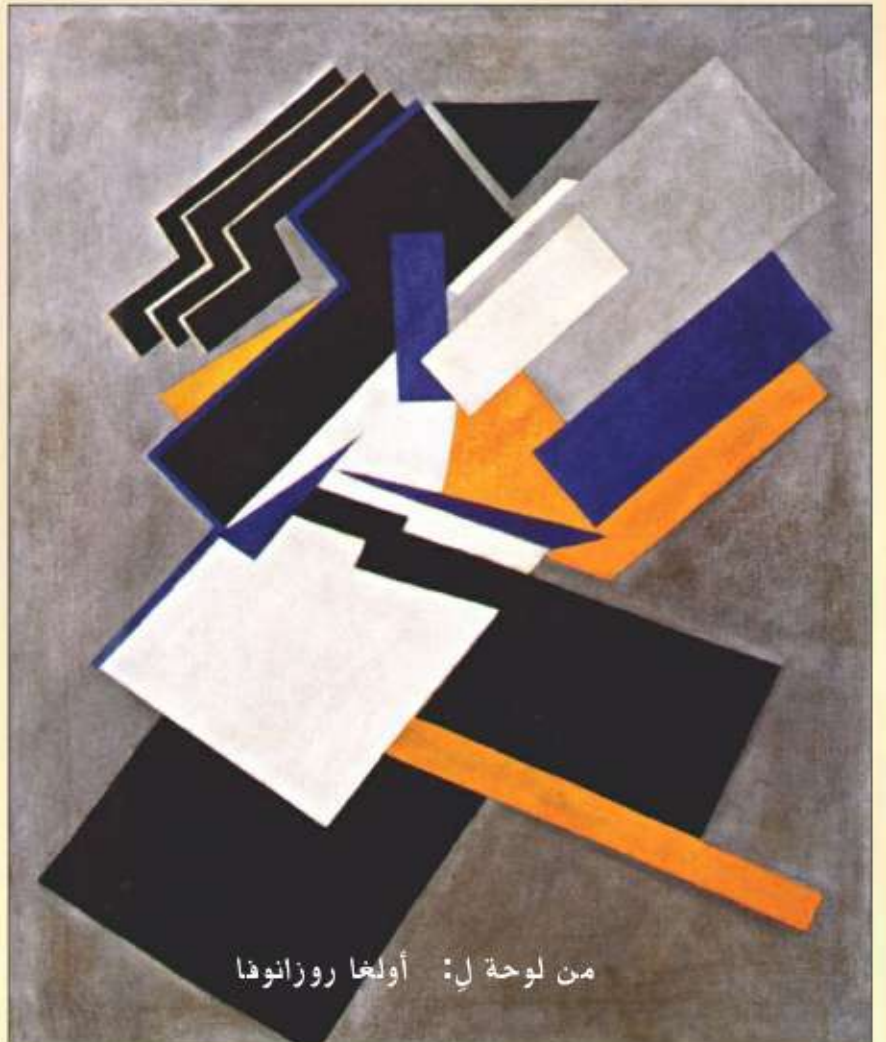
# أَخْفِ الأجراس في الأعشاش

مئة قصيدة مختارة

لمبارك وساط

2021

منشورات حبر



من لوحة ل: أولغا روزانوفا